يطلب من مكتبة المعارف بشارع بين الصورين بمصر — الثمن ٧٠ مليم



تأليف

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ



معاون بالديوان الخديوى

قررت معارف حكومة السودان استعمال هذا الكتاب بمدارسها
وهو مقرر استعماله ايضاً بمدارس نظارة المعارف العمومية المصرية

الطبعة الثانية على نفقة



لصاحبها

احمد حسنين

١٣٢٩—١٩١١



بجوار دار الكتب العربية لصاحبها عثمان وهمى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين (وبعد) فلما كان كتابي (الصراط المستقيم) في الاعتقادات والعبادات والآداب والاخلاق به من التطويل مايصعب تناوله ويعسر تحصيله على المتدئ اشار الداوري الاكرم والمليك الاجل الافخم من خصه الله من الفضل باوفر حظ واجزل نصيب وحببه في الاحسان على رعيته البعيد منهم والقريب ولي نعمتنا وحامي حوزتنا خديوينا المعظم ﴿ عباس حلمي باشا الثاني ﴾ أدام الله دولته واعلى كلمته وأيد شوكته الي اختصاره وذلك ليدرس في مدارس سموه الخاصة حبا من جنابه الرفيع في تعميم النفع للعامة والخاصة

وقد صدر نطق سموه الكريم لذلك بطبعه على نفقة سموه الخصوصية وتحت رعايته الداورية أدامه الله للانام ركناً وسندا ولرعيته عمادا ومعتمداً ومتع بطول بقائه البلاد والعباد ومنحه على الدوام الرشد والسداد انه سميع مجيب

وهو مقسم حسب اصله الى ثلاثة اقسام

(الاول) في بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان ومعرفة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام

(الثاني) في بيان العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع ما اشتملت عليه هذه العبادات من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع

(الثالث) في بيان ما يجب علي الشخص نحو نفسه من الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة

الله

اللهُ الذى خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من
الثمرات رزقاً لكم وسخّر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخّر لكم
الأنهار ٣٣ وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل والنهار ٣٤
وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها انّ الانسان
لظلوم كفّار

اللهُ الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من
عباده اذا هم يستبشرون ٤٩ وان كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله
لمبلسين ٥٠ فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير

ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ٧ الذى أحسن كلّ شيء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ٨ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ٩
ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً
ما تشكرون

ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأني تؤفكون

الدين الاسلامى

هو ذلك الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا صلي الله عليه وسلم للناس لينقذهم من
الضلالة ويبعدهم عن الغواية ويرشدهم الى اعتقاد العقائد الصحيحة الحقة ويهديهم الي
ما فيه صلاح حالهم واستقامة احوالهم وتقويم اخلاقهم وتهذيب نفوسهم

وقد حث جل شأنه على اقامته والعمل بما فيه والاستمساك بعروته التي لا انفصام لها
ووصى رسله بذلك وبالغ فى الانكار على من عمل بخلافه وسعى فى تفرقته واجتهد فى عدم

اقامته حتى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم بريئاً منه وكان عقابه فى الآخرة أشد وانكى
قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال جل شأنه (ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

ولما فى هذا الدين من الخير الجسيم والفضل العميم كان هو الدين المرضي عند الله دون غيره ولذا قد حذر جل شأنه من طلب دين غيره ونادى على من فعل ذلك بالويل والخسران فى الآخرة فقال (ان الدين عند الله الاسلام) اي ان الدين المرضي عند الله هو دين الاسلام لا غيره وقال تبارك اسمه (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)

﴿ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان

ارسله الله تعالى بهذا الدين القويم والصراط المستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون فتلا عليهم آياته وحملهم على ان يصيروا ازكياء طاهرين من خبائث العقائد والاعمال وعلمهم الكتاب والحكمة ليصيبوا فى القول والعمل فمنهم من هدي الله واسعده بمتابعته ومنهم من حقت عليه الضلالة وشقي بمخالفته فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ولا جرم اذ كان اتباعه صلى الله عليه وسلم عنوان السعادة ومخالفته عنوان الشقاوة أن يكون اتباعه صلى الله عليه وسلم دليلا على محبته تعالى للعبد ورضاه عليه قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ولقد قرن محبته جل شأنه بمحبته صلى الله عليه وسلم وآثر محبته حتى على الآباء والابناء والاخوان والازواج والاقارب والاموال والتجارة والمساكن التى محبتها امر فطري لا يخلو منه قلب احد وذكر ان من لم تكن محبته لهذه الاشياء دون محبته له صلى الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعذاب الاليم وذلك فى قوله (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)

فهو صلى الله عليه وسلم المنة الكبري والنعمة العظمي التى أنعم الله بها على عباده فضلا منه ورحمة ودل عليها بقوله (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

القرآن

هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه كتاب منزل فضلا عن كتاب موضوع فقد اشتمل على مواعظ وآداب واخلاق واحكام وامثال وترغيب وترهيب وغير ذلك من كل ما فى السموات والارض حتى يصح أن يقال انه لم يبق علماً من علوم الاوائل والاواخر الا صرح به او اشار اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسب نظمه عن مشابهة كل اسلوب الى غير ذلك من الصفات التي لا يحدها عدد ولا يحصرها احد

ولاشتماله على تلك الصفات التى لا يمكن لاحد من البشر ان يأتي بمثلها ولو كان من أجلّ العلماء واكبر السياسيين واعظم المفتنين نادي الله سبحانه وتعالي باعجازه فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

ولمكانة هذا القرآن الكريم عند الله وعظم شأنه وكرامته لديه امر ان لا يمسه الا من كان طاهراً من الحدثين الاكبر والاصغر فقال (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) وجعله هدي ورحمة وشفاء لمن آمن به ونقمة وشفاء لمن كذب به ونأي بجانبه عنه فقال جل شأنه (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمي اولئك ينادون من مكان بعيد)

ثم اعلم ان القرآن لا يكون كذلك هدي ورحمة وشفاء لمن آمن به الا اذا تدبره وفهم معانيه واعتبر بما فيه العبرة منه وعمل بما فيه من الاحكام والاركان وبالا عليه وكانت قراءته بدون ذلك عملا بلا فائدة تعود اليه فكن على ذكر من ذلك ولا تغفل عنه

كيفية انزال القرآن

المراد من انزال القرآن ان جبريل عليه السلام تلقى كلام الله تعالي فى علو شأنه فهبط به على الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك الحضرة فصح ان يقال نزل به وفى الحقيقة لا نزول ولا صعود وانما هى اسماء المراتب والقاب المقامات

وكان ينزل به جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم بكيفيات مختلفة فتارة كان يأتيه في صورة رجل فيكلمه وتارة كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعي ما قال وقد حكي صلى الله عليه وسلم هذه الحالة عن نفسه عند ما سئل كيف يأتيك الوحي فقال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىّ فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال واحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعِيْ ما يقول

وقد ابتديء انزاله في ليلة القدر من شهر رمضان كما اخبر عن ذلك جل شأنه بقوله (انا انزلناه في ليلة القدر) اى ابتدأنا انزال القرآن وقوله (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدي للناس) فأول نزوله كان تلك الليلة في ذلك الشهر ثم انزل بعد ذلك مفرّقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع ومقتضيات الاحوال كما قال تعالي (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

﴿ أول ما انزل من القرآن وآخر ما انزل منه ﴾

اول ما انزل من القرآن قوله تعالي (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وآخر ما أنزل منه قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) على اصح الاقوال في ذلك

﴿ ما يشتمل عليه القرآن ﴾

يشتمل القرآن الكريم بطريق الاجمال على ثلاثة اشياء توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه كل ما يتعلق بذاته تعالي واسمائه وصفاته ورسله الكرام والتذكير يدخل فيه كل مابه التذكرة والوعظ كالوعد والوعيد والجنة والنار والبعث والحشر وغيرها من احوال المعاد والاحكام يدخل فيها جميع الاحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات والزواجر وغيرها

﴿ فائدة ﴾

(فيما يشتمل عليه القرآن من السور والآيات والكلمات والحروف وما أنزل من السور بالمدينة وما أنزل منها بمكة)

نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم واذا زلزلت واذا جاء

سوره | آية نصرالله وكل ماعدا هذه السور نزل بمكة فأما عدد سور القرآن العظيم فمائة واربع عشرة سورة وأما عدد آياته فستة آلاف آية وأما عدد كلماته فسبع وسبعون ألفا وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأما عدد حروفه فثلثمائة واربعون ألفا وسبعمائة واربعون حرفا

﴿ اعجاز القرآن ﴾

اعجاز القرآن بما اشتمل عليه مما لا يمكن لاحد من البشر أن يأتي بمثله ولو كان من اكبر العلماء واعظم السياسيين وبما احتوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما أنبأ به من اخبار القرون الماضية والامم القديمة والشرائع الدائرة فضلا عما وضع عليه من الاسلوب الغريب والترتيب العجيب ومكانته من الفصاحة والبلاغة حتى بلغ من اعجازه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض على من بلغ من معارضيه في الفصاحة والبلاغة أعلى منزلة وأسمى مرتبة ان يأتي بأقصر سورة منه فلا يقدر كما قال تعالى (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وقال تبارك اسمه (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله)

فلما عجزوا من معارضته على كثرة خطبائهم ووفرة فصحائهم وقوة بلاغتهم نادى الله تعالى عليهم بالعجز واعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

﴿ تمهيـــــد ﴾

اعلم ان هذا المختصر قد وقع الاختيار على تقسيمه حسب اصله الى ثلاثة اقسام

القسم الاول — فيما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز وفيما يجب في حق الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز

القسم الثاني — في العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان ما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والفوائد والمنافع والآداب والشروط والاركان

القسم الثالث — فيما يجب التخلق به من الآداب الشرعية والاخلاق المرضية . وهذا أوان الشروع في المقصود وعلى الله أتوكل وعلى جنابه الرفيع أعول في طلب المعونة على اتمامه وأسأله كما وفق لجمعه ان يوفق للانتفاع به انه سميع الدعاء واسع العطاء

﴿ القسم الأول علم التوحيد ﴾

هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالادلة اليقينية وثمرته معرفة الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الابدية وهو اصل العلوم وأفضلها ولا غرو فهو متعلق

سورة | آية

بذات الله تعالى وذات رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به الرسل الكرام من لدن آدم الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لان الكل أرسلوا لغرض واحد وهو توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان واختصاصه جل شأنه أن يعبد وحده لاشريك له كما قال تعالى مخاطبا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) ووجه تسمية هذا العلم علم التوحيد ان اشهر مباحثه وأهم اغراضه التي يُرمى الى تحقيقها البحثُ عن توحيد الله تعالى الذى هو أساس الدين وأعظم أركانه وذلك لانه يتوقف عليه الإخبات لرب العالمين الذي هو اعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة . وقد نبه الكتاب العزيز والنبي صلى الله عليه وسلم على عظم امره وكونه من انواع البر والخير بمنزلة القلب اذا صلُح صلُح الجميع واذا فسد فسد الجميع قال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات لا يشرك بالله شيأ دخل الجنة)

هذا ولما كان القرآن حاويا لأصول هـذا العلم ومنه تتفرع أغصانه صار المرجع في بيان ما يجب لله تعالى من الصفات الكمالية اليه والمعول في تحقيقها عليـه واليك بيانها مع ذكر ادلتها من القرآن وشرح كل آية بما يفصّل مجملها ويكشف عن وجه العبرة فيها والله المستعان

﴿ الصفة الاولى الوجود ﴾

اعلم ان مَن أجال فكره في هذه الموجودات وأدارَ نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات رأى ان هذا الامر العجيب والترتيب الغريب لا يستغنى عن وجود صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدّره

لذلك أمر الله جل شأنه بالتفكر في هذه المخلوقات والبحث فيما يقع تحت النظر من المشاهدات من نحو السموات وما فيها من النجوم والكواكب والافلاك والارض وما اشتملت عليه من البحار والانهار والجبال والاودية والكهوف والسهول والمعادن والنباتات والحيوانات والجو وما اشتمل عليه كل ذلك من العجائب والغرائب الى غير ذلك من سائر مخلوقاته فقال (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) أي ليستدلوا بها على ان لها صانعاً حكيما ومدبراً عليما أوجدها من العدم وأبرزها الى الوجود

﴿ وقد ذكر الله تعالى من الآيات الدالة على وجوده وعظيم قدرته وعجائب حكمته ما فيه عبرة لمعتبر وحجة قاطعة لمن اراد التقرب الي الله تعالى بمعرفة وجوده فقال ﴾

سورة الروم آية ٢٠

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ٢١ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ٢٣
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٥ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ
إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان الآيات والدلائل والعلامات التي اقامها الله تعالى ادلة قاطعة وبراهين ساطعة على وجوده تعالى وكمال قدرته وبديع صنعته فذكر ان من هذه الآيات انه خالق الانسان وهو ذلك الحيوان الحساس النامي المتحرك العاقل المدبر الحكيم المفكر السميع البصير الذي قد اشتمل جسمه على العجائب والغرائب (من التراب) وذلك لانه كوّن من النطفة وهي من الدم والدم من الغـذاء والغذاء من النبات والنبات من التراب ولعمر الحق ان من تأمل بفكره كيف خلق هذا الانسان من التراب تحقق لديه ان خالقه وموجده منه لا بد ان يكون موجوداً مستمر الوجود قادراً أتم القدرة عالما أتم العلم ضرورة ان ذلك لا يصدر عن معدوم ولا عاجز ولا جاهل البته

(ومنها) انه خلق له زوجة يسكن اليها ويأنس بها وجعلها من جنسه لا من جنس الحيوانات الاخري وألقي بينه وبينها من المودة والرحمة ما يظن معه بمجرد دخولها عليه كأنهما تعاشرا العشرات من السنين مع عـدم سابقة معرفة ولا لقاء ليعم بينهما التناسل ويتم بقاء الكون ويحفظ نظامه وعمرانه

(ومنها) انه خلق السموات والارض وهما هذان الجرمان العظيمان الكبيران اللذان يدلان بأوضح برهان واعظم دليل على ان خالقهما موجود بالغ حـد النهاية في القدرة لا يعجزه شيء

(ومنها) انه خلق افراد الانسان ومع اختلافهم في الجنسية وتباينهم فى اللغات وكثرة عددهم البالغ حد النهاية تراهم مختلفين فى كيفية النطق ومتغايرين فى الالوان فلا تجد منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه ولا ترى لون شخص يشبه لون آخر فتبارك الله احسن الخالقين

(ومنها) انه اذا اراد ان يصيب بالمطر من يشاء من عباده أبرقت السماء علامة على ذلك ثم ينزل المطر على الارض فتراها اخضرت واكتست من انواع الزينة ما يبهج الخاطر ويسر الناظر بعد ان كانت يابسة قحلة لا نبات فيها ولا يعقل ان ذلك صادر عن معدوم

(ومنها) ان هذه السموات والارض مع عظم جرمهما وكبر حجمهما تراهما قائمتين مستمسكتين من غير شيء يرتكزان ويعتمدان عليه وانما ذلك بقدرة الله تعالى وحده وهذا ما اشار له الله تعالي هنا من الآيات والدلالات وفى ذلك لمن ينظر فى الامور بتدبر وتعقل وتفكر اكبر الادلة واعظم البراهين على وجوده تعالي وكمال قدرته اذ لا يعقل ان الموجد لذلك كله والحافظ له على نظامه مع هذا الإحكام الغريب والاتقان العجيب يكون معدوما او عاجزا اذ المعدوم أو العاجز لا يصدر عنه شيء البتة والله أعلم

ومن العلامات الدالة على وجوده تعالى ايضاً ما اشار له بقوله

الذاريات ٢٠ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢١ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

﴿ ما تشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان نوعين من انواع الدلالات والعلامات الدالة على وجوده تعالى

(الاول) الارض وما اشتملت عليه من البحار والجبال والاودية والكهوف والسهول والمعادن وخواصها ومنافعها والحيوانات وما فيها من العجائب والغرائب والنباتات وغرائبها وتباينها فى الاشكال والازهار والثمار والاوراق والطعوم والالوان والروائح وغير ذلك مما هو على وجه الارض من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتدبيره فان من تأمل فى ذلك حق التأمل وتفكر فيه حق التفكر علم حق العلم ان موجده ومحدثه بعد العدم لا بد ان يكون موجودا مستمر الوجود قادراً أتم القدرة والي ذلك الاشارة بقوله تعالى (وفى الارض ايات للموقنين) أى وفى الارض وما اشتملت عليه مما سبق ذكره دلائل واضحة على وجوده تعالى وتوحيده للموقنين اى الموحدين الذين كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وايمانا علي ايمانهم

سورة | آية

(الثاني) نفس الانسان وما اشتمل عليه جسمه من الاعضاء الظاهرة والباطنة وما أودع في كل عضو منها من الفوائد والمنافع وما في أصل تكوينه من خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان ينفخ فيه الروح ثم تختلف بعد ذلك صور أفراده وطباعهم وألوانهم وألسنتهم ثم نفس خلقه على هذه الصفة الغريبة العجيبة من لحم ودم وعظم واعضاء وحواس ومجاري ومنافس وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن وانطلق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها الي غير ذلك من الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح والى ذلك كله الاشارة بقوله تعالي (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) اى وفي أنفسكم من مبدأ خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب آيات وعلامات على وجوده تعالى افلا تبصرون وتتفكرون فيها فتستدلوا بها على انه الخالق والآيات الدالة على التفكر في مصنوعات الله تعالي ومخلوقاته غير ما ذكر للاستدلال بها على أنه تعالى موجود كثيرة منها قوله تعالى (أولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمي وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) ومنها قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيي به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ومنها قوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والي الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) ومنها غير ذلك وفيما ذكر كفاية للمسترشد ومن اراد استيفاءها فعليه بالاصل والله ولي التوفيق

﴿ الصفة الثانية القدم ﴾

وهو عدم الاولية اى انه تعالى لا اول لوجوده لأنه جل شأنه مصدر هذه الكائنات وموجد هذه الموجودات فلا بد ان يكون سابقا عليها لا يتقدمه تعالى شيء والا لزم ان يكون وجدت قبل وجود موجدها وذلك باطل لانه يلزم عليه أن يكون وجودها تقدم على نفسه وهو ظاهر البطلان ولا بد مع ذلك ان يكون وجوده جل شأنه غير مسبوق بعدم والا كان حادثا شأنه شأن هذه الموجودات وهو باطل

﴿ وقد أثبت الله تعالى لنفسه هذه الصفة بقوله ﴾

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سورة	آية

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الي بيان انه تعالي هو الاول قبل كل شيء والقديم الذى لم يسبقه أحد والازلى الذي لابداية له والآخر الذي لا انقضاء لهولا فناء والدائم الذي لا يلحقه العدم ولا يعتريه الزوال والظاهر الذي ظهر للخلق بما أودعه فيهم من عجائب الخلقة وبديع الحكمة والباطن الذى خفي على العقول ادراك حقيقته فلا مجال لها فى درك هذه الغاية لان عظمته تعالى غير متناهية ومدارك العقول البشرية حقيرة بالنسبة الي عظمته تعالى وحقير الادراك لايصل بالمعرفة الي الحقيقة العظيمة العالية والى ذلك الاشارة بقوله تعالي (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقوله صلي الله عليه وسلم (تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا) اى فانه لاتصل عقولكم الى ادراك كنه حقيقته ولا تنتهي أفهامكم الى الاحاطة بصفاته لانه جل شأنه المحيط بكل شيء والعليم بكل شيء

﴿ الصفة الثالثه البقاء ﴾

وهو عدم الآخرية اى أنه تعالى لا آخر لوجوده فلا يلحقه العدم والفناء ولا يقضي عليه بالانفصال والانقضاء فهو باق الى غير نهاية دائم الوجود من غير غاية اليه مرجع جميع الكائنات ومنتهي مصير هذه المخلوقات فالكل بالاضافة اليه عدم لان الكل وجوده منه وما كان وجوده من غيره فالعدم من لوازمه والفناء والزوال من اخص أوصافه

﴿ وقد أثبت الله تعالي لنفسه هذه الصفة بقوله ﴾

القصص ٨ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿ مانشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى باق لا فناء له مستمر الوجود لا آخر له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له وان كل شيء موجود مآله ومصيره الى الهلاك والزوال والعدم الا ذاته تعالى فانه لا يلحقها العدم ولا يتطرق اليها الزوال بل هو الباقي بعد فناء خلقه وله القضاء والحكم النافذ فيهم يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد واليه مرجع جميع الخلائق يحكم فيهم بفصل قضائه ليجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته لارب غيره ولا معبود سواه وقال جل شأنه أيضا في اثبات هذه الصفة له (كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام) اى كل من على وجه الارض فان وهالك وزائل الا وجه الله تعالى وذاته فانها باقية لايلحقها الفناء ولا يقضي عليها بالانفصال والانقضاء

سورة	آية
	١
الإخلاص	

﴿ الصفة الرابعة مخالفته تعالى للحوادث ﴾

● اى انه تعالى لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وقد صرح جل شأنه بنفي هذه المماثلة في غير ما آية من القرآن الكريم وابينها فى ذلك وأتمها قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وتوافق الخالق والمخلوق في الوصف ببعض الصفات كالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فيقال الله عالم كما يقال فلان عالم وهكذا لا يضر لان هذا التوافق في مجرد التسمية فقط ولا يخفى ان مجرد التوافق في الاسم لا يستلزم التوافق في الحقيقة وانما المضر اتصافه تعالى بشيء من صفات مخلوقاته مما هو ظاهر من امره انه من صفات النقصان كالموت والنوم والخطا والنسيان والغفلة وغيرها من النقائص التى صرح بنفيها القرآن الكريم وقامت الموجودات من ارض وسموات ادلة قاطعة وبراهين ساطعة علي نفيها عنه تعالي لان وجودها بهذا النظام العجيب والترتيب المحكم الغريب لا يتخللها اخلال ولا يدركها فساد من اكبر الادلة علي نفي هذه النقائص عنه تعالى اذ لوكان شيء من الموت والخطا والنسيان أو الغفلة يدركه جل شأنه لاختل نظام هذه الموجودات وفسد حالها وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى فى غير ما آية من كتابه العزيز فقال تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده) الآية

وقد نفي جل شأنه هذه المماثلة عن نفسه وبين انه لا يكافئه شيء من الحوادث ولا هو يكافيء شيأ منها فقال

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ١ اللهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

الغرض من هذه السورة الشريفة

الغرض منها اثبات جميع صفات الكمال لله عز وجل من وجوده تعالى وقدمه وبقائه ومخالفته تعالى للحوادث وقدرته وارادته وعلمه وحياته وسمعه وبصره وكلامه ووحدانيته وذلك لان (الله) علم على الذات الواجب الوجود الجامع لصفات الالوهية ويلزم ذلك انه خالق الاشياء وموجدها من العدم الى الوجود وفى طي ذلك وصفه تعالى بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعي العلم والقدرة لكونه واقعا علي اتم نظام وابدع احكام وفى ذلك وصفه تعالى بأنه حي سميع بصير وقوله (احد) وصف بالوحدانية ونفي للشريك له تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وقوله (الصمد) اى الذى يصمد اليه ويقصد في الحوائج وصف بانه غنى عن كل ما سواه وكل ماسواه محتاج اليه وذلك يقتضى المغايرة والمباينة وعدم المماثلة

سوره	آيه

له تعالى لان الاحتياج من لوازم غيره وقوله (لم يلد) وصف بالقدم لان الولادة تستلزم المماثلة والمجانسة للمولود وذلك يستلزم الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى وكذا قوله (ولم يولد) لان كونه مولودا يستلزم سبق العدم وقد علمت انه قديم لااول له ووصفه تعالي بالقدم يستلزم وصفه بالبقاء لان القديم لايفني وانما يفنى الحادث المتجدد وقوله (ولم يكن له كفوا احد) وصف بمخالفته تعالى للحوادث ومغايرته لها في جميع الشؤن والاحوال وهو كالخلاصة والنتيجة لما تقدم من الاوصاف لان من كان متصفا بالصفات المتقدمة من الاحدية والصمدية وعدم صدور ولد عنه وعدم صدوره هو عن والد كان ولا شك مخالفا لكل الحوادث مغايرا لها على خط مستقيم لا يكافئ شيا منها ولا يماثله ولا يكافئه شيء منها تعالى الله عن مماثلة الحوادث علوا كبيرا

(وفي نفي المثلية وتنزيهه تعالى عن الشبيه والمماثل يقول الله تعالى ايضا)

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ — شورى ١١

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى نفي مشابهة ذاته تعالى لشيء من الحوادث كائنا ما كان لان الكل عبد لله سبحانه وتعالى ومملوك له فلا يخرج أحد منهم عن علمه ولا قبضة قدرته ولا يعزب عن سمعه شيء من المسموعات ولا يغيب عن بصره شيء من المبصرات فكيف مع ذلك يناسبه أو يجانسه أو يماثله تعالى الله عن مشابهة الحوادث علوا كبيرا

وقال تبارك اسمه في نفي صفات الحوادث عنه مما هو ظاهر من امر دانه من صفات النقصان

البقره ٢٥٤ — اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

﴿ مضمون هذه الآية الكريمة والغرض منها ﴾

الغرض منها نفي الشريك عنه تعالى وانه القائم بتدبير خلقه الحافظ لهم المنزه عن صفات الحوادث من الغفلة والذهول وعدم الاحساس والشعور الناشئة عن السنة التي هي فتور يتقدم النوم وعن النوم الذي هو عدم الشعور يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ ومن رطوبات الابخرة المتصاعدة من المعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن

الاحساس بالمرة. وانه تعالى له ملك السموات والارض يتصرف فيهما كيف شاء حسبما تقتضيه مشيئته وارادته لا يشاركه في ذلك احد ولا يملك معه شيئاً حتى الشفاعة لا يملكها الا باذنه واذا اذن في الشفاعة لم يكن الشفيع شفيعا على الحقيقة . وانه تعالى المنفرد بالعلم الذاتي الذى هو من صفات الكمال التي يجب ان يتصف الله تعالى بها فلا يعلم أحد من مخلوقاته شيأ من معلوماته الا ماشاء أن يعلمه اياه . وانه تعالى المنفرد بالقدرة الكاملة والعظمة والسلطان والملك فلا يشق عليه شاق ولا يثقل عليه ثقيل حتى انه لفرط عظمته وعظم قدرته لا يثقله حفظ السموات والارض ومن فيهما وما بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه لانه جل شأنه القاهر فوق عباده المتعالي عن الاشباه والانداد والامثال والاضداد وعن امارات النقص وعلامات الحدوث . ومن تتبع القرآن الكريم وجد فيه غير ماذكر من الآيات الدالة على تنزيهه تعالى ونفى مشابهته لشيء من الحوادث او مشابهة شيء من الحوادث له ونفى اتصافه تعالى بصفات الحوادث مما هو ظاهر من امره انه من صفات النقصان كثيرا فمن ذلك في نفي الموت عنه الذى هو من اخص صفات الحوادث قوله تعالى (وتوكل على الحي الذى لايموت) ومنها في نفي النسيان والخطأ قوله تعالي (قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ومنها فى نفى المماثل والتنزيه عن الصاحبة والولد قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ومنها في اثبات الغني المطلق له تعالى واحتياج كل ما سواه اليه مما هو بين الدلالة على مخالفته تعالى لكل ما عداه قوله تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) ومنها غير ذلك فعليك باستقصائه ان شئت والله تعالى ولى التوفيق

﴿ الصفة الخامسة الحياة ﴾

هى صفة قديمة ذاتية لله جل وعز لا يكتنه كنهها ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه تصحح لمن اتصف بها ان يكون عالماً قادراً مريدا لان من لا حياة له لا يصح ان يتصف بعلم ولا قدرة ولا ارادة وذلك انه قد ثبت انه جل شأنه موجد هذا الخلق وحافظه على نظامه الغريب وترتيبه العجيب وحافظ مثل هذا النظام لا يكون الا حيا ولا تكون حياته الا أبدية أزلية

وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة بقوله

سوره غافر آية ٦٥ هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة أنه جل شأنه المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية التي لا يلحقها العدم بحال ولا يقضى عليها بالانفصال والانفصام وانه لا معبود بحق الا هو فلا موجود يدانيه ولا ندّ يساويه فهو احق من أخلص له فى العبادة وأولى من افرغ الجهد في الحمد له والثناء عليه لانه هو المستحق لذلك دون غيره ولذا يقول جل شأنه (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أى فاعبدوه مخلصين له في العبادة وأثنوا عليه بما هو أهله

وقال جل شأنه أيضاً في اثبات هذه الصفة له

وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً طه ١١١

﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الحياة لله جل شأنه الذى تذل الخلائق لعظمته وتخضع لسلطانه وتستسلم لمشيئته القائم بتدبير خلقه الحافظ لنظامهم العادل الذى يجازي على الاحسان احسانا وعلى الاساءة اساءة فمن يظلم من عباده غيره ويتعدّ عليه اقتص منه وأحل به من النكال والخيبة والخسران ما يستحق ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن أعطاه الجزاء الاوفى والثواب الوفي الذى لا يخاف معه ان يظلم فيزاد في سيآته ولا ان يهضم فينقص من حسناته

﴿ الصفة السادسة العلم ﴾

هو ما به تنكشف المعلومات سواء في ذلك ماضيها وحاضرها ومستقبلها لان الكل لديه سبحانه وتعالى سواء فهو سبحانه وتعالى يعلم بعلمه كل شيء كائنا ما كان فى السموات أو في الارض فى البر أو في البحر خفى أو ظهر

وقد اثبت الله لنفسه هذه الصفة مبينا احاطة علمه تعالى بكل شيء حتى بالورقة تسقط من شجرتها والحبة فى ظلمات الارض فقال

سوره	آية	
الانعام	٥٩	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى اختصاصه تعالى بعلم مفاتح الغيب وهي خمس بينها صلى الله عليه وسلم فى قوله (مفاتح الغيب خمس لايعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير) مع احاطة علمه تعالى بالمغيبات غير هذه الخمسة وجميع المشاهدات والمحسوسات من كل ما فى البر والبحر من الموجودات لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات فهو جل شأنه يعلم الاشياء مجملة ومفصلة على اختلاف انواعها واجناسها وكثرة افرادها بل لا تسقط ورقة من أى شجرة كانت ولا توجد حبة صغيرة فى ظلمات الارض وبطونها التى يخفي فيها أكبر الاجسام لاتساعها وعظمها بل ولا أى شيء رطب ولا أي شيء يابس الا وعلم الله محيط به وشامل له لايخرج عن دائرته فسبحانه من اله عليم حكيم خبير

وقال جل ثناؤه فى بيان انه تعالى عالم بكل شيء في السماء والارض حتى الحديث يسره المرء لأخيه

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى انه تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض من الموجودات وانه تعالى واسع العلم كثير الاطلاع حتى بلغ من سعة علمه واحاطته انه لا يتناجي ثلاثة أشخاص ولايتسارّون بأى كلام كان الا وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم وعالم بما يقولونه

آية	سورة	
		وكذا لوكانوا خمسة فانه تعالى يعلم ما يسرون به وما يخفونه وليس هذا العدد بشرط بل لوكان المتسارّون أقل من هذا العدد أو أكثر منه فان الله سبحانه وتعالي معهم بعلمه يعلم مايجرى بينهم مهما اجهدوا انفسهم في اخفاء المكان الذى يتسارّون فيه ولو اغلقوا على انفسهم مائة باب بل ولو كانوا فى بطن الارض لان علمه تعالى بالاشياء ليس بقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ومع ذلك فلا يتركهم سدًى بل لابد ان يخبرهم بما عملوه بوم القيامة ويجازيهم به ان خيرا فخير وان شرا فشر
		وقال تبارك اسمه في بيان كمال علمه بالاشياء مرشدا الى ذلك بخلقه اياها
١٣	الملك	وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴿ وجه العبرة في هاتين الآيتين الكريمتين ﴾

وجه العبرة فى هاتين الآيتين الكريمتين تحذير المخاطبين عما يرتكبونه من عدم مراقبتهم لجانب الله تعالى في اقوالهم وافعالهم واسرارهم واجهارهم فانه تعالى عالم بموارد الاقوال والافعال فلا تخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة السموات او في الارض حتى بلغ من كمال علمه تعالى ان يستوى عنده الاسرار والاجهار وان يعلم بالقلوب فلا يخفي عليه سر من اسرارها

وقد دل سبحانه وتعالى على كمال علمه تعالى واحاطته بقوله (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) اى ألا يعلم الخالق ذلك وقد اوجده وهو الذي لطف علمه بما فى القلوب وهو الخبير بما تسره من الامور لايخفى عليه شيء من ذلك

والآيات القرآنية الدالة على كمال علمه بكل شيء في السماء اوفي الارض سواء في ذلك ماظهر منه وما خفي حتى بالحديث يسره الانسان في نفسه كثيرة فمنها ماذكر ومنها قوله تعالي (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم) ومنها قوله تعالي (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ومنها غير ذلك والله بسر صفاته عليم

﴿ الصفة السابعة الارادة ﴾

هي صفة قديمة تخصص الممكن بالوجود او بالعدم او بالطول او بالقصر او بالحسن او بالقبح او بالعلم او بالجهل الى غير ذلك من الشؤن والاحوال وذلك لان كل فعل صدر

من الله سبحانه يمكن ان يصدر عنه ضده ومالا ضد له من الافعال فيمكن ان يصدر منه ذلك الفعل بعينه قبل الوقت الذي وجد فيه او بعده والقدرة فى ايجادها تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فاذن لابد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين فتخصص وجود هذا مثلا دون ضده وهذا في الوقت الذى وجد فيه دون الذى قبله والذي بعده

{ وقد اثبت الله لنفسه هذه الصفة بقوله }

سورة آل عمران ٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الاية الكريمة الى انه تعالى صاحب الملك الحقيقى المتصرف فيه بما يشاء وكيف يشاء فيعطيه من يشاء ان يعطيه اياه وينزعه ممن يشاء ان ينزعه منه ويعز من يشاء ان يعزه ويذل من يشاء ان يذله كل ذلك بمحض ارادته واختياره ومشيئته من غير ممانعة من الغير ولا منازعة لانه تعالى هو القاهر فوق عباده وبيده الخير يتصرف فيه وحده حسب مشيئته لايتصرف فيه احد غيره ولا يملكه احد سواه لايسئل عما يفعل وهم يسئلون

وقال تبارك اسمه في بيان انه تعالى فاعل مختار يفعل ما يشاء ان يفعله بمقتضى ارادته ومشيئته

الشورى ٤٩ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٠٠ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

﴿ ما يستفاد من هاتين الآيتين الكريمتين ﴾

يستفاد منهما ان ملك السموات والارض له تعالى من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف شاء بما شاء بمقتضى ارادته ومشيئته فيهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضاً بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا لا ذكرا ولا أنثى ولا بد ان يكون هذا التصرف على وجه لا يتصور أكمل منه ولا اوفق لمقتضى الحكمة والصواب منه لانه جل شأنه عليم بالمصلحة قدير على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

سورة	آية
يس	٨٢

وقال جل شأنه في بيان كمال ارادته وتمام اختياره وعظيم قدرته

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الي اثبات ارادته تعالى وكمال اختياره وعظيم قدرته لان شأنه تعالى في الايجاد انه اذا أراد ايجاد أى شيء من الاشياء فانما يقول له كن موجوداً فيوجد من غير توقف على استعمال آلة او ما يتبع ذلك من المشقة والتعب وغير ذلك مما هو ضرورى للانسان اذا أراد عمل أي شيء من الاشياء اذ هو تعالى المالك لكل شيء والمتصرف فيه بمقتضى مشيئته وعلى سنن حكمته فلا يعجزه ايجاد شيء وافق ارادته واقتضته مشيئته فسبحان من بيده ملك كل شيء يتصرف فيه كيف شاء واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل

والآيات القرآنية الدالة على كمال اختياره تعالى وان كل شيء بارادته ومشيئته كثيرة منها ماذكر ومنها قوله تعالى (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) ومنها قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) ومنها غير ذلك

﴿ الصفة الثامنة القدرة ﴾

هي صفة قديمة يوجد الله بها ما يشاء أن يوجده ويعدم بها ما يشاء ان يعدمه وفق ارادته وذلك لانه قد تواطأت العقول وتواترت النقول على ان الذي ابدع هذا العالم وابرزه من العدم الى الوجود ونوعه الى هذه التنوعات العجيبة الغريبة من سماويات وارضيات جمادية ونباتية وحيوانية كل ذلك مع نهاية الاحكام والاتقان هو (الله) تعالى وحده لا سواه فلا يكون مع ذلك الا قادرا

واني لأذكر لك طرفا من هذه المبدعات المتناهية في الاحكام والاتقان مما يدلك دلالة واضحة على ان عظمته تعالى وعظمة قدرته لا تحد وان كل عظمة فهي في جنب عظمة الله تعالى حقيرة هينة

هذا الحيوان الذي بلغ في الصنع اعلى منازل الغرابة واسمى درجات الاحكام لو تأملت فيه وما انطوى عليه من غريب التكوين وبديع الصنع وما اشتمل عليه من الاعضاء الظاهرة

سورة	آية	

والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلاف ابنيتها ودقائق صنعها وانطوائها على الفوائد الجمة والمصالح التي بنيت على الحكمة لانبهر عقلك وتحير فكرك وفهمك

ولا تسأل عن اختلافه واختلاف انواعه واصنافه فمنه الصغير والكبير ومنه مايعيش في الهواء ومنه ما يعيش في الماء وما يعيش على سطح الارض وما يعيش في أثنين من ذلك ومنه ما يمشي على اربع ومنه ما يمشي على بطنه ومنه ما يتناول غذاءه بيده وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه ومنه غير ذلك فسبحان الله الحكيم الخبير القادر القاهر

وهذا النبات الذى اشتمل على الغرائب والعجائب وحير الالباب بما اودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم بينا ترى بذوره حبوبا يابسة عديمة النمو والحياة اذ نراها دخلت في تركيب النباتات فانقلبت جسما ناميا متغذيا مكتسبا خواص لم تكن له من قبل ثم تنظر فى ذلك الجسم النباتي فتراه من جهة عديم الارادة فاقد الادراك اشبه شيء بالجماد وتنظر اليه من جهة اخرى فتراه قد امتد بعروقه فى بطن الارض لتناول الغذاء ولا تسأل عن اختلاف اشكاله واشكال اوراقه واثماره وبذوره وروائحه وطعومه والوانه ومنافعه ومضاره ومع اشتراك انواعه في الخضرة لا تكاد تجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع آخر كل ذلك مع اتحادها فى انها تسقى بماء واحد وتتغذي بتربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد فسبحان الحكيم الخبير القادر العليم

وهذه الارض وما اشتملت عليه من بر وبحر وما في كل منهما من الغرائب والعجائب مما هو اوضح دليل واقوى برهان على ما لصانعه من باهر القدرة وعظيم الحكمة

وهذه السموات وما اشتملت عليه من الكواكب وعجائبها ودورانها في افلاكها بهذه الحركات المنتظمة مع اختلافها فى الصغر والكبر وسرعة سيرها في افلاكها وبطئها واختلافها في النور والظلمة وتولد الفصول والشهور منها الى غير ذلك من العجائب والغرائب

فلا جرم أن من اوجد هذه الموجودات المتقدمة واحكمها وابدع ايجادها على نمط الاحكام والاتقان يكون قادرا اتم القدرة لا تدخل اعمال قدرته تحت تصور بشر او احاطة فكر

﴿ ولبيان آثار قدرته تعالى فى مخلوقاته أشار بقوله ﴾

البقرة ١٦٤ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

سوره	آية

﴿ المقصود من هذه الآية الكريمة وبيان معناها ﴾

المقصود منها الاستدلال بالنظر فى هذه الموجودات المذكورة في الآية الكريمة على انه تعالى قادر اتم القدرة لا تتناهى قدرته عند حد ولا يدرك مقدار عظمتها احد وذلك من خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب والغرائب ومن اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب مع تعاقبهما على ذلك بحاله منتظمة لا يتغيران مهما تعاقبت الفصول وتوالت الاعوام . ومن السفن التي تجري على الماء ولا ترسب مع ضخامتها محملة بالاثقال وغير محملة لينتفع الناس بها في امور معاشهم . ومن انزال الماء من السماء فتنبت به الارض بعد يبسها وينتشر فيها الدواب بما تأكله من ذلك النبات . ومن تصريف الرياح وتقلبها جنوبا وشمالا وشرقا وغربا حارة وباردة . ومن الغيم المسخر بين السماء والارض بلا علاقة تمنعه من السقوط ولا ممسك يمسكه يسير حيث شاء الله تعالى

وحقيقة فان كل واحد من هذه المذكورات مشتمل على وجوه كثيرة داله على كمال قدرته تعالى ونهاية عظمته ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الشريفة

وقال تبارك اسمه في بيان كمال قدرته مستدلا على ذلك بخلقه السموات والارض وعدم عجزه عن خلقهن

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ — الاحقاف ٣٣

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيه الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى اثبات قدرته تعالى على ان يبعث الخلق ويحييهم بعد مماتهم ليثيب المطيع على طاعته ويعذب العاصي ان شاء على معصيته وذلك لانه تعالى اثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع انه هو الذى خلق السموات والارض ولم يعجزه خلقهن فهو قادر على ان يحي الموتى بالطريق الاولى لان احياءهم بعد موتهم اسهل بكثير من خلق هذين الجرمين العظيمين الكبيرين من غير سبق مثال يحذو على منواله كما قال تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فسبحان من لا يقدر قدر قدرته الا هو ولا يحيط بعظمته سواه

وقال جل شأنه ايضا فى بيان كمال قدرته مستدلا بخلقه الانسان من الماء

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً — الفرقان ٥٤

سوره	آية	

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة أثبات كمال قدرة الله تعالى حيث قدر على ان يخلق من الماء الذى هو النطفة بشرا حسا ما ناميا سميعا بصيرا متكلما مدركا شاما ذائقا لامسا عاقلا حكيما يجول فكره فى كل شيء ويتصرف في كثير من هذه الكائنات فى هذا العالم ذا اعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعلا قسمين متقابلين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن فتبارك الخلاق العظيم الذي ينشيء هذا المخلوق العجيب والمصنوع البديع من نطفة قذرة المنظر كريهة الرائحة تشمئز النفس لرؤيتها لو اصابها الهواء لفسدت من ساعتها ان فى ذلك لعبرة لأولي الابصار

والآيات القرآنية الدالة على كمال قدرته تعالى وتمام عظمته كثيرة لا تكاد تحصى وفيما ذكر كفاية للمسترشد المتأمل والله ولى التوفيق

﴿ الصفة التاسعة الوحدانية ﴾

هي عدم التعدد في الذات والصفات والافعال فالله سبحانه وتعالى واحد في ذاته أي ليست ذاته مركبة من اجزاء ولا شريك له في الملك يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويدانيه وواحد في صفاته اى ليس لاحد صفة تشبه صفة من صفاته وواحد فى افعاله اى ليس لاحد غير الله تعالى فعل من الافعال فالافعال كلها خيرها وشرها مبدعها وخالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا معين فهو المنفرد بالخلق والابداع والمستقل بالايجاد والاختراع لا رب غيره ولا معبود سواه

والى تفرده سبحانه وتعالى في الذات وعدم الشرك والمعين يشير تعالى بقوله

الانبياء ٢٢ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ابطال تعدد الآلهة وانه لا موجود منها الا واحد وهو الله تعالى وذلك لانه لو كان في السموات والارض آلهة معبودون غير الله تعالى لفسدتا وبطلتا بما فيهما من المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلك من فيهما لوجود التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه لان كل امر صدر عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك وذلك أنا لو قدرنا وفرضنا وجود الهين فاما ان يتفقا على وجود هذا العالم او يختلفا فان اتفقا فلا جائز أن يوجداه معا لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على

سورة آية

أثر واحد وهو محال ولاستلزام ان كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الآخر له وعليه فيكون هذان الالهان قد ركبا وجعلا الها واحدا ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لكل منهما على انفراده لانه جزء الموجد لا موجد مستقل واله العالم انما هو موجده واذا قيل ان الاله هو المجموع المركب منهما كان ذلك باطلا لاستلزامه التركيب وهو محال على الاله الموجد للعالم لان التركيب من صفات الحوادث . ولا جائز ان يوجداه مرتبا بأن يوجده احدهما ثم يوجده الآخر لانه يلزم عليه تحصيل الحاصل وهو محال . ولا جائز ان يوجد احدهما البعض والثاني البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته وهو عجز والعجز على الاله محال

وان اختلفا بأن اراد احدهما ايجاد العالم والآخر اعدامه فلا جائز ان ينفذ مرادهما لانه يلزم عليه اجتماع الضدين ولا جائز ان ينفذ مراد احدهما دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما فثبت ان القول بوجود الهين او اكثر يوجب الفساد وحيث ثبت ذلك فلم يبق الا ان الله هذا العالم وموجده لا بد ان يكون واحدا تنزه الله عما لا يليق به وتعالى عما وصفوه به من الشريك له علوا كبيرا

وقال جل شأنه في اقامة الدليل على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَنْ لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً الاسرا ٤٢

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾

الغرض من هذه الاية ابطال قول المشركين ان مع الله آلهة اخرى بانه لو كان ما يقولونه صحيحا لابتغوا وطلب اولئك الالهة الى الله سبحانه سبيلا وطريقا للمغالبة والمقاتلة والممانعه ليزيلوا ملكه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المقاتلة والمصاولة عند تعددهم وذلك باطل لعدم حصوله فما ادى اليه وهو وجود آلهة غير الله تعالى باطل ايضا تنزه الله وتعالى عما يقول فيه هؤلاء الناس علوا كبيرا فانه سبحانه وتعالى بريء مما يقولون بعيد عما يصفونه به منزه عن كل نقص لا اله الا هو تفرد بالايجاد له الملك والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

وقال جل شأنه في نفي اتخاذه الولد والشريك له واقامة الدليل على ذلك

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ المؤمنون ٩٢

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى امرين (الاول) بطلان اتخاذ الله تعالى ولدا لان الولادة تقتضي انفصال مادة من الوالد وذلك يقتضي التركيب وهو مستحيل عليه تعالى ولان الولد لا بد ان يجانس اباه ويماثله وايضا انما يطلب العاقل الولد ليعينه على امور معاشه والله جل شأنه منزه عن التركيب لانه من شأن الحوادث وعن مماثلته لاحد او مماثلة احد له ومتقدس عن احتياجه لاحد لانه هو الغني المطلق (الثاني) نفي الشريك له تعالى مع اقامة الدليل على تفرده بالالوهية بانه لو كان له ثان يشاركه فيها لذهب كل واحد منهما بما خلقه واستبد به واستقل وتصرف فيه تصرف المالك في ملكه وامتاز ملكه عن ملك الآخر وعلا بعضهم على بعض ووقع بينهما التحارب والتغالب كما هو المشاهد بين ملوك الدنيا بعضهم مع بعض

وحيث لم يكن أثر لتمايز الممالك والتغالب فلم يبق اذن الا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء تعالى الله عما يقول فيه الظالمون علوا كبيرا

وكثيرا ما اقام الله تعالى الادلة الواضحة والبراهين الساطعة على وحدانيته وأنه المنفرد بالخلق والايجاد لاشريك له ولا معين ولا ند ولا ضد ونادي على من أشرك به غيره بعدم الفلاح والنجاح فقال (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تبارك اسمه (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) لارب غيره ولا معبود سواه

﴿ الصفة العاشرة السمع ﴾

هو صفة قديمة تنكشف بها المسموعات ولكن لا بأذن ولا صماخ تعالى الله عن صفة الحوادث علوا كبيرا وهو من الصفات التي ورد الشرع الشريف بثبوتها لله تعالى وجاء القرآن الكريم ناطقا بها فوجب التصديق بأنه سميع . على أن من أمعن النظر وأجال الفكر في استحقاق الاله المعبودية واختصاصه بالعبادة دون سواه ونظر في جميع التكاليف التي شرعها ذلك الاله جزم لاول وهلة ان هذه العبادة لا يصح ان تكون لغير سميع اذ كيف يوجه الانسان عبادته الى من ليس بسمع ذكره له وثناءه عليه ولا تحميده ولا تمجيده والعبادة ليست غير ذلك ولذا يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ) اى لا يصح لك ان تعبد من هذه حالته لعدم الفائدة حينئذ

سوره	آية

(وقد اثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال)

إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ — طه ٤٣
يَخْشَى ٤٥ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٦ قَالَ لَا تَخَافَا
إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى

﴿ ما تشير اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

تشير هذه الآيات الكريمة الى حكاية امر سيدنا موسى عليه السلام واخيه هرون مع فرعون عليه اللعنة حيث امرهما الله تعالى ان يذهبا اليه ليقول له انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم فقالا له عز وجل انا نخاف اذا دعوناه الي ذلك ان يفرط علينا ويعجل علينا بالعقوبة فقال الله تعالى لهما لا تخافا مما ذكرتما فاني حافظ لكما وناصركما عليه اسمع مايجري بينكما وبينه من القول واري مايحصل بينكما وبينه من الفعل فأفعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وجلب خير

﴿ وقال تعالى في اثبات هذه الصفة له أيضا ﴾

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ — الزخرف ٨٠

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة اثبات صفة السمع له تعالى وانه لا تخفي عليه خافية فلا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يحجبه بعد وان طال وقد ظن الكفار لجهلهم أنه سبحانه وتعالى لايسمع الا ماجهر به من الاصوات وأما ما خفي منها فلا يسمعه. فرد الله عليهم بقوله . أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون أي أظن هؤلاء الناس لجهلهم أنا لانسمع مايتحادثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بلى قد كذبوا في ظنهم الفاسد وزعمهم الباطل بل نسمع ذلك ونعلم به ونطلع عليه ورسلنا وملائكتنا الموكلون بحفظ أعمالهم الملازمون لهم يكتبون جميع مايصدر منهم من قول أو فعل فنجازيهم به

ومن هذه الآية الكريمة يؤخذ وجوب مراقبة الله تعالى في جميع الاحوال حيث أنه تعالى مطلع على الانسان في جميع لحظاته وحركاته وسكناته سميع لكل مايقوله مطلع على كل مايفعله سواء ماخفي من ذلك وماظهر منه فان الاخفاء والاظهار بالنسبة له تعالى سواء

سوره	آية

الصفة الحادية عشر البصر

هو صفة قديمة تنكشف بها المبصرات ولكن لا بعين ولا حدقة ولا جارحة ولا بغير ذلك فان ذلك من صفات الحوادث المنزه عنها الله تعالى وهو من الصفات التى لا مرية فى ثبوتها لله تعالى اذ جاء الشرع الشريف بثبوتها له عز وجل ونطق القرآن الكريم بها وهو بهذا المعنى أى انه صفة خاصة به تعالى سمعى محض أما البصر بمعنى العلم بالمبصرات فهو امر عقلي اذ لا يعقل أنه يوجد البصر وهو غير بصير بل كيف يخلق هذا الخلق وهو لا يبصره بل كيف يصح أن يعبد من لا يرى من يعبده بل كيف لا يكون بصيرا والبصر كمال لا محالة وقد أوجده في مخلوقاته وكيف يكون المخلوق أتم وأكمل من الخالق والمصنوع أسنى من الصانع ذلك غير معقول وكيف يعقل أن الانسان بصير وخالق الانسان غير بصير ألا يبصر من خلق وهو العلى العظيم

وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ — شورى ١١

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ثلاثة اشياء . الاول . نفي مشابهته جل شأنه لكل ماعداه من المخلوقات اذ لو شابه شيأ منها لكان حادثا مثلها وذلك محال كما تقرر غير مرة . الثاني . اثبات انه تعالى سميع أى مدرك لجميع المسموعات لا على سبيل التخيل والتوهم ولا بتأثر حاسة أو وصول هواء . الثالث . اثبات انه تعالى بصير أي مدرك لجميع المبصرات لا على طريق التوهم والتخيل ولا على طريق تأثر حاسة ولا وصول نور لان كون العامل برسم صور المرئيات في العين هو النور الواقع على المرئيات والمنعكس عنها الى داخل العين انما ذلك فى الحوادث والله جل شأنه منزه عن صفات الحوادث

وقد ورد في غير ما آية من الكتاب العزيز غير ما ذكر وصفه تعالى بانه بصير فمن ذلك قوله تعالى . ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل أن الله نعما يعظكم به أن الله كان سميعاً بصيرا . ومنه قوله تبارك اسمه . الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أن الله سميع بصير . ومنه غير ذلك والله أعلم

الصفة الثانية عشر الكلام

هو صفة قديمة ليست بحرف ولا صوت وقد نطق القرآن أن الله كلم موسى تكليما وأنه قد اصطفاه على الناس برسالاته وكلامه وأنه جل شأنه لا يكلم البشر الا وحيا

فوجب علينا التصديق بانه تعالى متكلم وليس علينا البحث فى حقيقة معنى الكلام لانه كغيره من صفات الله لا يمكن الوصول الى العلم بحقيقته اما الالفاظ المقروءة فالبحث عنها من جهة خلقها وعدم خلقها بدعة يجب السكوت عنها والذى يجب الايمان به أن القرآن كلام الله والله اعلم

﴿ وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة وهي صفة الكلام بقوله ﴾

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء — شورى ٥١

﴿ مايستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة أثبات الكلام لله تعالى مع بيان كيفية تلقيه من عند الله تعالى ووصوله الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك يكون بأحد ثلاثة امور

. الاول . ان يوحي اليه بأن يقذف فى قلبه شيأ لايشك في أنه من عند الله تعالى فيقع ذلك المعني المقذوف فى نفس الموحي اليه بدون واسطة لفظ يخلعه الله تعالى فينكشف له بمجرد ذلك القذف ثم هو يمكنه بعد ذلك أنه يعبر عنه بالفاظ من عنده كيفما شاء ويمكن ان يعبر عن هذه الحالة بالالهام وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله . الاوحيا .

. الثاني . ان يكلمه من وراء حجاب بأن يسمعه كلامه ولايراه وذلك كما حصل لموسي عليه السلام وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله . أو من وراء حجاب .

. الثالث . ان يكون ذلك الكلام بواسطة ملك يرسله الله تعالى الي الموحي اليه من البشر فيوحي اليه مايشاء ان يوحيه له باذن الله تعالى وأمره وتيسيره وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله . أويرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء . والله أعلم

﴿ وقال جل ثناؤه فى أثبات صفة الكلام له بأنه كلم موسي عليه السلام ﴾

وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً — النساء ١٦٣

﴿ مايستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة أثبات صفة الكلام لله تعالى وذلك انه تعالى أخبر عن نفسه وهو الصادق المصدوق بانه كلم موسى عليه السلام حتى سمع كلامه وهذه الحالة التى حصلت لموسي عليه السلام من التكليم بالكيفية المتقدمة هي احدى كيفيات التكليم الثلاث المتقدمة كما علمت

وما ورد فى القرآن الكريم مما يثبت باوضح برهان وأسطع دليل انه تعالى متكلم كثير وذلك غير ماذكر قوله تعالي. ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر

سورة	آية	

اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

هذا وقد تم القول ولله الحمد والمنة فيما يجب له تعالى من الصفات الكمالية والمراتب العلية وما يستحيل اتصافه به جل شأنه من اضداد تلك الصفات فلم يبق مما يتعلق بذاته الشريفة الا ذكر ما يجوز في حقه تعالى ليكون قد كمل ما يجب اعتقاده بالنسبة له جل شأنه فاليك بيانه

﴿ الجائز في حق الله تعالى ﴾

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه ولا يجب عليه شيء فهو الفاعل المختار يتصرف في ملكه بما شاء وكيف شاء لا يصده عن ذلك صاد ولا يمنعه عنه مانع وذلك لان كل ما في هذا العالم من سموات وأرض وحيوان ونبات وبر وبحر وأحجار وأشجار وغيرها فعل الله تعالى وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا هو ولا شريك له فيه ينازعه ولا ضد له فيه يعارضه ويعانده ويمانعه فكيف يعقل مع هذا ان هذا الخالق القادر وهذا المالك المطلق يحول دون تصرفه في ملكه كيف يشاء احد حاشا لله ان يكون كذلك بل هو الفاعل المختار لكل شيء من خير وشر ونفع وضر وعرف ونكر الي غير ذلك من الشؤن والاحوال كل ذلك بارادته واختياره

غير انه مع ذلك يجب علينا ان نعتقد ان كل فعل من افعاله تعالى جار على الحكمة والعدل والصواب من غير اجحاف بحق او ظلم لاحد كما وصف الله نفسه بذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد . وقال تبارك اسمه . ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس انفسهم يظلمون . كما يجب ان نعتقد ان جميع افعاله تعالى لاتخلو عن حكمة وفائدة سواء علمت لنا تلك الحكمة اولم تعلم كما قال تعالى · وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق · وقال تعالى · افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون .

﴿ وقد اثبت الله لنفسه انه فاعل مختار يتصرف في ملكه بما شاء وكيف شاء بقوله ﴾

يونس ١٠٧ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ،

﴿ ما المقصود من هذه الآية الكريمة ﴾

المقصود منها اختصاصه تعالى بالتصرف المطلق وتفرده بالقدرة التامة والعظمة الكاملة وانه لا شيء في الوجود الا وهو في قبضته وتحت تصرفه فاذا اراد احدا بسوء فلا يمكن

سورة	آية

لأحد سواه ان يكشفه عنه ويمنعه منه لان الكل تحت قهره وسلطانه كما انه اذا اراد احدا بخير فلا يقدر احد سواه على رده كائنا من كان بل يصيب به من يشاء من عباده حسب ارادته ومشيئته وهو الغفور الرحيم لمن تاب اليه ورجع ولو من اى ذنب كان حتى من الشرك به فانه يتوب عليه

﴿ وقال جل ثناؤه في بيان كمال اختياره بما له من الملك المطلق والتصرف التام في السموات والارض وفي كل شيء ﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ | المائدة ٤٣

﴿ ما الغرض من هذه الآيه الكريمة ﴾

الغرض من هذه الآيه الكريمة اثبات انه تعالى فاعل مختار يتصرف في خلقه كيف شاء فيعذب هذا ويغفر لذاك حسب ارادته ومشيئته وذلك بماله من السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمين للقدرة التامة على التصرف الكلي فيفعل بمقتضاها ماشاء من التعذيب والمغفرة حسب ارادته واختياره والله على كل شيء قدير ومن ذلك ما ذكر من التعذيب والمغفرة

والآيات القرآنية الدالة على انه تعالى فاعل مختار متصرف فى ملكه كيف يشاء من نفع وضر وخير وشر كثيرة تكاد لاتحصى فنها غير ما ذكر قوله تعالى (ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) وقوله تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) ومنها قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير) ومنها قوله تعالى (ولله ملك السموات والارض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) ومنها غير ذلك مما لا يحصى كثرة نمليك بتتبعه ان اردت استقصاءه وفيما ذكر كفاية للمسترشد والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

وحيث قد انتهى بنا القول في بيان مايجب فى حق الله تعالى وما يستحيل ومايجوز فبقى الكلام على ما يجب للرسل الكرام ومايستحيل وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام وماخصهم الله به من جلائل المزية وكمال الافضلية وميزهم به من الصفات المرضية والمراتب العلية فاليك بيانه

سوره	آية	

﴿ ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

تمهيـــــــد

﴿ في بيان حكمة ارسالهم ﴾

اعلم أن الله جلت قدرته وعلت كلته حلق الحلق وطبعهم على أخلاق حسنة تساعدهم على انتظام حالهم وأخلاق تخالفها لاجل ان يسابقوا بها في عمارة هذا الكون الذى قدر وجودهم فيه الى أحل معلوم لكن لما كان تحديد الرغبة في السبق يوجب وقوف كل راعب عند حده ويأسه من مجاوزته وبذلك تتعطل حركة المسابقة لم تعدل الاخلاق في أصل الفطرة فصارت تلك الاخلاق السيئة في معرض الطغيان والوصول الى حـد يصبح به ضرها أكبر من نفعها لذلك اقتضت رحمة الله بعباده بمحض ارادته واختياره أن يرسل لهم اناسا منهم طبعهم على الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة واطلعهم على مكامن الاخلاق واسرارها وكيفية علاجها ودرجة الاعتدال منها ليهدوهم ويرشدوهم الى مافيه صلاحهم وتقويم اخلاقهم وتهذيب نفوسهم ويبينوا لهم الخير ليتبعوه والشر ليجتنبوه ويردوهم الى حد الاعتدال فى مثل هذه الاخلاق .مثلا الطمع خلق سيء ولكن لولاه ماتجشم الحلق أعباء المكاسب والغرس والعمارة واذا طغى نشأ عنه منازعات الحلق وتولدت الشرور المبيدة فشريعة الرسول تلطفـه وترده الى اراده السعى والتعيش بعد أن تكون ارادة التكـثر والاستئثار فـكأنه يجعله حسنا بعد ان كان سيئا وبذلك تتم المسابقة فى عمـارة الـكون وتحصل الغاية المصودة منه بلا ضرر ولا ضرار وهـذا هو جل المقصود من الرسل عليهم الصلاة والسلام

ولـكمال لطفه بهم ورحمته لهم جعلهم بشرا من جنسهم ليمكن ان ينتفع بعضهم ببعض فى المخاطبة والسؤال ولم يجعلهم ملائـكة لعدم امكان رؤيتهم ومخالطتهم ومخاطبتهم فـلا تحصل الفائدة المقصودة من ارسالهم حينئذ ولقد امتن الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الـكتاب والحـكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

(وقد بين الله تعالي وظيفة هؤلاء الرسل وحكمة ارسالهم في قوله)

النساء	١٦٢	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا
		إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
		وَهَرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ

آية	سورة	
		قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تكليما ١٦٤ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

﴿ ما يستفاد من هذه الآيات الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الايات الكريمة أحكام

(الاول) ان النبي عليه الصلاة والسلام أوحي اليه كما اوحي الى اخوانه النبيين من قبله وهم نوح وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط اي اولاده وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسي وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه وبين اخبارهم له ومن لم يقصصهم عليه

(الثاني) بيان وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي أنهم يبشرون من صدقهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى وعمل به بالجنة والثواب والنعيم بالنعيم الدائم المقيم وينذرون من كذبهم وعصاهم فيما جاؤا به بالنار والعذاب الاليم ومأخذ ذلك من قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين)

(الثالث) بيان حكمة ارسالهم عليهم الصلاة والسلام وهى المذكورة فى قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) اي ارسلهم الله تعالى ليبشروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء الناس معذرة يعتذرون بها بعد ارسال الرسل وتبليغ الشرائع على السنتهم فيقولون ياربنا هلا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور عقولنا عن ادراك جزئيات المصالح وتفردك بعلمها دون سواك فقطع الله حجتهم هذه بارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) والله اعلم

﴿ وبين جل شأنه ما أرسلوا به ليعلموه الناس ويهدوهم اليه بقوله ﴾

آية	سورة	
١٣	شورى	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه

﴿ ما يرمى اليه غرض هذه الآية الكريمة ﴾

يرمي غرض هذه الآية الكريمة الى الحث على اقامة الدين وعدم التفرق فيه بما يحصل فى اصوله من الخلاف والاضطراب وفيها بيان ماشرعه الله تعالي ووصي به رسله

سورة | آية ا الكرام من لدن نوح الي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه وهو توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه تعالى بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة فانه ما من نبي الا قد وصى قومه بذلك وأرشدهم اليه . أما الشرائع التى هى مصالح الامم فانها تختلف باختلاف الاشخاص والامكنة والازمنة والاخلاق والعادات كما يدل على ذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فهذه لم تكن الوصاية بها عامة لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بل كانت لكل رسول بما يناسب استعداد قومه وزمانهم ومكانهم وأخلاقهم وعاداتهم والله أعلم

ومن تجب معرفته منهم تفصيلا خمسة وعشرون وهم آدم وابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسماعيل واليسع ويونس ولوط وهود وشعيب وصالح وادريس وذو الكفل وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وكلهم مذكورون في القرآن الكريم

فهؤلاء هم الرسل الكرام الذين تجب معرفتهم تفصيلا كما يجب اعتقاد انهم موصوفون بهذه الصفات الآتية التي سنذكرها مع أدلتها والله ولى التوفيق

﴿ صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

تمهيد

(فى بيان حال الرسل مع من أرسلوا اليهم ولم أيدهم الله بالمعجزات ووجبت لهم هذه الصفات)

اعلم انه سبق القول فيما يتعلق بالرسل ووظيفتهم وحكمة ارسالهم وما أرسلوا به ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه من كل ما يكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة بقي ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد ان يقابلوا من المرسل اليهم بالتكذيب وذلك اما عنادا وكبراً مع اعتقادهم بأن ما جاء به هذا الرسول هو الحق الذى لا مرية فيه وانه رسول الله حقاً وقد حكى الله عنهم هذه الحالة بقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أو حسداً على اصطفاء الله تعالى لهذا الرسول دونهم وتفضيله عليهم مع انه ربما كان أقل ثروة منهم وأنقص جاها من أحدهم وقد حكى الله عنهم هذه الحالة ايضاً بقوله (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) أو تقليداً لما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم من الاعتقادات الباطلة والاخلاق الفاسدة تمسكا أعمى وتعصباً أعنى وقد حكى الله عنهم هذه الحالة ايضاً

سورة	آية

بقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون)

لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لهؤلاء الرسل من الآيات البينات والعلامات الواضحات والحجج القاطعة والبراهين الساطعة ما يلجئ خصومهم الى الاذعان والتصديق بكل ما جاؤا به من عند الله تعالى ويتركون ما هم عليه من العناد والحسد والتقليد وجعل جل شأنه هذه العلامات على نوعين

(الاول) المعجزة التي تدركها الحواس وهذه يطلبها أحد رجلين اما ناقص الادراك ومع نقصه هو غير معاند فيحتاج الى ما يدركه بالحس كقلب العصا حية وابراء الأكمه والابرص وانشقاق القمر وغيرها واما معاند قصده العنت والعناد ليس الا

(الثاني) ما يشتمل عليه ذلك الرسول من الصفات التي لا يمكن أن توجد لغيره كاملة كما هي فيه وذلك كالصدق في كل ما أخبر به عن الله تعالى وكقوة بيانه وشدة ذكائه وفصاحة لسانه وشدة عارضته وقوة مدركته وكعصمته من الوقوع في أي معصية صغيرة كانت أو كبيرة ومن فعل كل شئ يخل بمرتبته العلية وهذا النوع من العلامات يدركه أولو البصائر والافهام ولذا وجب اعتقاد اتصافهم بهذه الصفات لان عليها مبني النبوة ونشر الرسالة واليك بيانها وأدلتها والله ولي التوفيق

﴿ الصفة الاولى الصدق ﴾

اعلم أنه يجب اعتقاد أن هؤلاء الرسل صادقون فى كل مايبلغونه عن الله تعالى سواء كان قولا أو فعلا لأنهم لو كذبوا فيما يقولونه لكانوا مضلين لا مرشدين وقد علمت أنهم ماأرسلوا الا للارشاد فتبطل الحكمة من ارسالهم ولأن الله تعالى قد أمر باتباعهم والاقتداء بهم في اقوالهم وأفعالهم ولا يعقل مع ذلك أنهم يكذبون لانه تعالى لايأمر بفعل معصية

(وقد أخبر جل شأنه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما حل بمن كذب من قبله من المرسلين وحاق بهم من العذاب الاليم والنكال الشديد فقال)

غافر ٢١ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٢٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ

سوره	آية	
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى تهديد المكذبين برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وحثهم على السير في الارض لينظروا كيف كانت عاقبة الذين كانوا من قبلهم وكذبوا برسلهم وما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد قوة منهم وآثارا في الارض من الأبنية والمعالم والمعاقل ومع هذه القوه العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وأهلكهم بسبب تكذيبهم لرسلهم وما قدر أحد أن يدفع عنهم العذاب ولارده عنهم رادّ حتى اذا نظروا في ذلك وتحققوا أن ماحل بهؤلاء الناس بسبب تكذيبهم لرسلهم يحل بهم اذا هم كذبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم رجعوا عما كانوا يصرون عليه من التكذيب لرسالته صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الله علة أهلاكهم وما اقترفوه من الذنب حتى استحقوا به هذا العذاب الشديد فقال (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالآيات الواضحات والبراهين القاطعات {فكفروا} أى مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) وأهلكهم (انه قوىّ شديد العقاب)

فكأنه تعالى يقول لهؤلاء الناس على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اعتقدوا صدقه عليه السلام في كل مابلغكموه عني وألا أحللت بكم من العذاب الاليم والعقاب الشديد ما أحللته بمن قبلكم من الامم الذين كذبوا رسلهم ولم يقدر أحد حين ذاك أن يحول دون تنفيذ مرادي فيهم من حلول العذاب بهم مع أنهم كانوا أشد قوة منكم وأكثر آثار فى الارض مما لاتقدرون عليه

(وقال جل شأنه فى بيان جزاء الذين لم يصدقوا برسلهم وبما أرسلوا به من سحبهم على وجوههم بالاغلال تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم)

سوره	آية	
غافر	٦٩	الذينَ كَذَّبوا بالكتَابِ وَبمَا أرسَلْنَا بهِ رُسُلَنَا فَسَوفَ يَعلَمُونَ ٧٠ إذِ الأغلَالُ في أعنَاقهمْ وَالسَّلَاسلُ يُسحَبُونَ في الحَميمِ ثمَّ في النَّارِ يُسجَرُونَ ٧١ ثمَّ قيلَ لهُمْ أينَمَا كُنتمْ تُشرِكُونَ منْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلوا عنَّا بَلْ لمْ نَكُنْ نَدعُوا منْ قَبلُ شيأً كَذَلكَ يُضلُّ اللهُ الكافرينَ

﴿ ماترشد اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما أعده الله تعالى من العذاب الاليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله من الهدى والبيان وهو أن الاغلال

آية	سوره	

توضع فى أعناقهم وتوضع في الاغلال السلاسل ثم تسحبهم الزبانية منها على وجوههم ويحرونهم بها تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) أى يحرقون ظاهرا وباطنا أى وحيث كان هذا العذاب الاليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله كان ولاجرم تصديقهم في كل ماجاؤا به أمرا واجبا محتما ولا يكون كذلك الا حيث كانوا صادقين فى كل ماجاؤا به عن الله ليبلغوه الناس

ثم بعد أن بين جل شأنه مايحل بمن كذب برسله من العذاب وما يحيق به من النكال بين أنه يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع أين الاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا وذهبوا وغابوا عن ابصارنا وفقدناهم فلا نراهم ثم لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلال والجهالة وأنهم كانوا يعبدون مالايعتد به ولا يضر ولا ينفع قالوا لم نكن ندعو من قبل شيأ أى بل تبين لنا اليوم أنا كنا لم نعبد شيأ يعتد به كذلك يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار

(ومن نظر الى تخاصم أهل النار وقولهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقول الخزنة لهم اما لن ندعو لمن كذب برسل الله علم أن تكذيب الرسل وعدم اعتقاد صدقهم من أكبر ماجنى المرء على نفسه من المصائب وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله)

٤٧ | غافر | وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ٤٨ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٩ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ٥٠ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

(وقد صرح جل شأنه بوصف كثير من رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام بالصدق فقال)

٤٠ | مريم | وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

(وقال)

٥٤ | مريم | وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا

(وقال)

٥٦ | مريم | وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا

سورة	آية	

﴿ الصفة الثانية الفطانة ﴾

قد علمت ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد ان يقابلوا ممن أرسلوا اليهم بالتكذيب اما عناداً وكبراً أو حسداً او تقليداً فلا بد اذن ان يكونوا بمكانة سامية ودرجة رفيعة من الذكاء وشدة العارضة وقوة الحجة في البيان ليمكنهم ان يقيموا الحجج الباهرة والبراهين القاطعة على من ناوأهم من خصومهم بالمعارضة أو وقف لهم موقف المتحدى فيكسرون بذلك سورة عنادهم ويلجؤنهم الى التصديق بهم ولا يصح ان يكونوا الا كذلك ولو انهم كانوا غير ذلك لما آمن بهم أحد لعدم قدرتهم على اقامة الحجة على خصومهم باثبات دعواهم فتبطل الحكمة من ارسالهم

لذلك لا ترى أى نبى من الانبياء قام بين قومه يدعوهم الى توحيد الله والايمان به وبرسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ويرشدهم الى ما به تقويم ما أعوج من أخلاقهم واصلاح مافسد من شؤنهم الا وقابلوه بالتكذيب وأقاموا في وجهه حرب التأنيب وألصقوا به كل تلمة واسندوا اليه كل وصمة وقابلوه بأشد انواع الايذاء واكبر دواعى العداء ومع ذلك صلوات الله عليهم كانوا لا يقابلون ذلك من خصومهم الا بالصبر والثبات والدأب على اقامة الحجة عليهم واقناعهم بالآيات الباهرات والدلالات القامعات مما يلجئهم الى التصديق بهم في كل ما جاؤا به من عند الله تعالى فترضخ عند ذلك نفوسهم وترتاض لهم جموحها وينزلون عند حكمهم فتتم لهم عند ذلك اسباب السعادة وتكون لهم الحسنى وزيادة و لاذلك الا بقوة بيانهم وشدة فطانتهم وذكائهم

(وقد ذكر جل شأنه من محاجة ابراهيم عليه السلام ما هو بين الدلالة فيما اعطيه عليه السلام من الفطانة وشدة الذكاء وقوة البيان فقال)

البقرة ٢٥٧ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ماحصل بين سيدنا ابراهيم عليه السلام وبين نمرود بن كنعان ملك بابل من المناظرة والمحاجة فى وجود الله تعالى وذلك ان نمرود

آية	سوره	
		انكر وجود الله تعالى وان الاله هو دون غيره وقد حمله على ذلك الطغيان ما اتاه الله تعالى من طول اجله وسعة ملكه وذلك ما افاده الله تعالي بقوله (ان آتاه الله الملك) فأنكر سيدنا ابراهيم عليه ذلك فطلب منه نمرود الدليل فقال ابراهيم ربي الذي يحي ويميت أي الدليل على وجوده تعالى حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ضرورة أنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد اوجدها وهو الرب الذي ادعو الى عبادته وحده لاشريك له فعند ذلك قال نمرود انا احي واميت (عنادا منه ومكابرة) فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام ان كنت كما زعمت من انك تحي وتميت فالذى يحي ويميت هو الذى يتصرف فى الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت الها كما تدعى تحي وتميت فأت بها من المغرب فلما علم عجزه وانقطاع حجته وانه لايقدر على المكابرة في هذا المقام بهت واخرس ولم يتكلم وقامت الحجة عليه لانه من القوم الظالمين الذين لايهديهم الله تعالى ولا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
		فانظر كيف قصم ابراهيم عليه السلام حجة هذا اللعين والقمه حجرا في فمه فأخرسه ولم يتكلم والزمه الحجة واقنعه بالبرهان الذى لايحتمل نقضا ولاردا وذلك بما اوتيه عليه السلام من قوة البيان وشدة العارضة وكمال الذكاء والفطنة وقوة الحجة
		وناهيك بما لسيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة وحسبك ان الله مانح الذكاء وواهب الفطنة هو الذي يلهمه الحجة ويعطيه السلطان وقوة البيان لمدافعة الخصوم بما يبكتهم به ويدحض اقوالهم حتى يرتدوا صاغرين لقوله مقرين بنبله وفضله كما حكي الله تعالى ذلك بقوله (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لايهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) وقوله لهم ايضا (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)
		ومثل ذلك فى القرآن الكريم كثير ولو انا توخينا البحث فيما وقع بين الانبياء والمرسلين مع اممهم وكيف الزموهم الحجة والجؤهم الى التصديق بهم بقوة بيانهم وشدة فطانتهم وذكائهم لوجدنا شيأ كثيرا يطول عليك ذكره ويغنيك بعضه عن كله والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

سورة	آية
آل عمران	٧٩
	٨٠

﴿ الصفة الثالثة العصمة ﴾

قد علمت ان وظيفة الرسل عليهم الصلام والسلام ارشاد من ارسلوا اليهم الى الاعمال الحسنة والافعال المستحسنة وهدايتهم الى مافيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وتقويم ما اعوج من أخلاقهم وتهذيب نفوسهم وترك ما اعتادوا عليه من الافعال المنكرة والاعتقادات الفاسدة والاوهام الباطلة فلا بد اذن أن يكونوا فى أعلى درجات الكمال وأسمى مدارج الجمال منزهين عما لا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي والاتصاف بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم ولو أنهم كانوا عليهم الصلاة والسلام على غير ما وصفنا من النزاهة والعصمة من الوقوع في اي منكر او قبيح ونحن مأمورون بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم لكانوا مضلين لا مرشدين فتبطل الحكمة من ارسالهم

(وقد ذكر الله تعالى عصمتهم في غير ماموضع من القرآن الكريم فمن ذلك قوله)

٧٩ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٨٠ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿ ماتشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى تبرئة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتنزيههم وعصمتهم من ان يقولوا هذه المقالة الشنعاء وهي قولهم للناس كونوا عبادا لنا من دون الله اى اعبدونا معه ومن ان يأمروا الناس بعبادة احد غير الله تعالى لا نبي مرسل ولا ملك مقرب فانهم ما بعثوا لذلك ولا امروا به ولكنهم بعثوا ليقولوا للناس كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى كونوا فقهاء حكماء بسبب ماتعلمونه للناس من الكتاب المشتمل على الاوامر والنواهي التى من عند الله تعالى وبسبب كونكم تدرسون العلم وتذاكرونه

وفى هاتين الآيتين الكريمتين اعظم باعث لمن علم على ان يعمل وان من اعظم العمل بالعلم تعليمه والاخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم فدلت الآيتان على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع عمله

آية	سوره	
		وخاب سعيه جعلنا الله ممن علم فعمل وعمل فأخلص واخلص فى عمله تقبل منه آمين

(وقال تبارك اسمه في بيان وجوب طاعتهم مما هو بين الدلالة على عصمتهم عليهم الصلاة والسلام مع ارشاد العصاة الى التوسل باتباع شرعه صلى الله عليه وسلم ليغفر لهم ولا يكون ذلك الا حيث كان معصوما من الوقوع فى ذنب مع افادة عدم الايمان مع عدم الرضا بحكمه والتسليم لقضائه)

٦٣ النساء

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٦٤
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ثلاثة أشياء

(الاول) مافرضه الله من طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام على من أرسلوا اليهم فى كل ماجاؤا به عن الله تعالى ولا يكون ذلك الا حيث كانوا معصومين من الوقوع فى كل منكر ومن فعل كل قبيح لانه تعالى لا يأمر بفعل محرم ولا مكروه وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)

(الثانى) ارشاد العصاة والمذنبين اذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه ان يستغفر لهم الله فان فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

(الثالث) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الظلم والجور فيما يحكم به ويقضى فيه ووصف من لم ينزل عند حكمه ولم يرض بقضائه بعدم الايمان الذى هو افضل ما أوتيه العبد من الخيرات حتى يقع منه ذلك التحكيم له صلى الله عليه وسلم ثم لايجد ضيقا فى صدره مما قضي عليه ويسلم لحكمه وشرعه تسليما لايخالطه رد ولا شك ولا تشوبه مخالفة وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

وهذا منه جل شأنه بين في ان نبيه صلى الله عليه وسلم مبرأ من الظلم والجور ومعصوم

سوره	آية	

من الوقوع فيها وحينئذ فعدم تحكيمهم له عليه الصلاة والسلام محض عناد وجحود يستحقون عليه وصفهم بأنكر شيء وافظعه وهو عدم الايمان والله اعلم

وبالجملة فمن نظر فيما نزل من القرآن الكريم في تنزيهه رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن النقائص التي كان قومهم ينسبونها اليهم وما وصفهم به في غير ما موضع منه من الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة مثل قوله جل شأنه في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (وما هو على الغيب بضنين) وقوله فيه (وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقوله تبارك اسمه في سيدنا ابراهيم عليه السلام (ان ابراهيم لحليم اواه منيب) وقوله في اسمعيل عليه السلام (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وقوله في ادريس عليه السلام (انه كان صديقا نبيا) وقوله في اسمعيل واليسع وذي الكفل (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) وغير ذلك مما ذكره تبارك اسمه في مدح رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام علم ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام كملة الخلق منزهون عن كل شيء يحدث خدشا او يكون نقصا في مراتبهم العلية مبرؤن من الوقوع في المعاصي صغيرة او كبيرة

﴿ الجائز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

اعلم ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام هم بشر مثلنا تعتريهم احوال البشرية مثلنا من اللذة والألم والصحة والسقم والحياة والموت والراحة والتعب والزواج والتوالد والاكل والشرب وغير ذلك مما يعتري سائر البشر الا انه لابد من اعتقاد انهم في كل مايتصفون به ويشتركون فيه مع سائر البشر في اعلى درجات الكمال فلا يتلذذون الا ليشكروا الله تعالى على نعمه فيما يتلذذون به وهكذا

وثبوت هذه الاحوال لهم عليهم الصلاة والسلام لأنهم بشر يحيون كما يحيا البشر قال الله تعالى حكاية عمن شهدوا ذلك فيهم منكرين حصوله منهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) فرد الله تعالى عليهم بقوله (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) اى كل الرسل قبلك كانوا كذلك يأكلون ويمشون في الاسواق فكيف ينكرون ذلك عليك وقال جل شأنه في بيان انهم كانوا يتزوجون ويتوالدون (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية) وقال تبارك اسمه في بيان انهم كانوا يمرضون (وايوب اذ نادى ربه انى مسني الضر وأنت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال جل ثناؤه في بيان انهم كانوا يموتون (وما محمد الا رسول قد خلت من

سوره | آية

قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ)

هذا ولنختم الكلام على العقائد برسالة سيد الوجود سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم كما ختم الله به عقد هؤلاء النبيين صلي الله عليه وعليهم اجمعين مع ذكر بعض ما امر به وبعض مانهي عنه وما ألزم به قومه بالبرهان الذي لايحتمل نقضا ولاردا حتي اقر الكل بالعجز عن مباراته والتقصير عن مجاراته فانقادوا لطاعته والتجؤا الى متابعته بعد العداء الشديد وايذاء كل كفار عنيد والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله علية وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ولد صلي الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسري أنوشروان في ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلادالمسيح عليه السلام فنشأ يتيما فقيرا فآواه الله واغناه بمصداق (الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتولى الله تربيته وتأديبه فنشأ على الاخلاق الفاضله والصفات الكامله من العفة والمروءة والكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق وصدق الحديث وحفظ الامانة والبعد عن الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال الى غير ذلك من سائر الكمالات حتى صح ان يخاطبه الله تعالى بقوله (وانك لعلى خلق عظيم)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة ارسله الله تعالى للناس كافة بشيرا ونذيرا وقال له ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقام صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر ربه ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وتفرده بالعبادة وحده لا شريك له ويأمرهم بما فيه خيرهم وصلاحهم والفوز بالسعادة الدنيوية والاخروية فمن ذلك اتحاد الكلمة وعدم التفرق ونبذ التباغض والتحاسد والتنازع وذلك فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) وقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وبر الوالدين ومعاملتهما باللطف والاحسان اليهما وذلك فى قوله تعالى (وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما اوكلاهما فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وصلة الرحم بالاحسان اليها ان كانت فقيرة وبالتودد اليها بالزيارة ونحوها ان كانت غنية وذلك في قوله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) والتعاون على الخير

سوره	آية	

وذلك في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) واداء الامانة وذلك في قوله تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وذلك في قوله تعالى (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا) والمسارعة الى فعل الخيرات والمبادرة الى انتهاز الفرصة قبل فواتها وذلك في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) الى غير ذلك من كل خصلة حميدة وصفة جميلة

وينهاهم عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى وذلك في قوله تعالي (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) وعن الفسق والعصيان وذلك في قوله تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) وعن قتل النفس بغير حق وذلك في قوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق) وعن الزنا وذلك في قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وعن الكبر وذلك في قوله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) وعن شرب الخمر ولعب القمار وذلك في قوله تعالي (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وعن التجسس والغيبة وذلك في قوله تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) وعن الخيانة وذلك في قوله تعالي (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) الى غير ذلك مما يضر بالهيئة الاجتماعية او النفس او المال او العرض او العقل

فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى مادعاهم اليه وامرهم بما امرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه نفروا من قبول دعواه وعادوه اشد المعاداة فقام صلي الله عليه وسلم يسفه احلامهم ويقبح اعمالهم ويدحض اقوالهم كل ذلك ببراهين قاطعة وادلة ساطعة وآيات بينات ومعجزات باهرات

﴿ معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴾

هي تلك العلامات التي نصبها صلى الله عليه وسلم في وجوه معانديه ومكذبيه ليقروا له بالرسالة وان ماجاءهم به من عند الله حق لا مرية فيه ومن اعظم تلك العلامات التي استند صلي الله عليه وسلم في اثبات دعواه الرسالة عليها (القرآن) وذلك ان اعظم شيء امتاز به العرب على من سواهم الفصاحة والبلاغة فجاءهم صلي الله عليه وسلم بالقرآن وهو في اعلى طبقات الفصاحه والبلاغة ليكون من جنس ماهم عليه وتحداهم باقصر سورة منه وادعى عجزهم عن معارضته ووصفهم بالضعف والقصور عن بلوغ تلك المنقبة

آية	سورة

.ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها بذلك فى كل محفل مشهرا له فى كل جحفل فاخذوا يتأملون فى ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار العقل ويتدبرونه تدبر الناقد البصير فظهر لهم بعد التأمل الصادق ان هذا القرآن لا يمكن لاحد من البشر ان يأتي بمثله مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل واحوال الامم في جميع شؤنها واحاط بجميع الفنون والآداب والاخلاق والسياسات وتحرى فيه عدم المضاربة والتناقض وحسن الاسلوب فلما علموا ذلك وتحققوه جزموا بان هذا القرآن ليس من كلام البشر وانه من عند الله ارسل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون معجزة له تدل على انه صادق في كل ما بلغه عن الله تعالي فصدقوه عند ذلك وآمنوا بجميع ماجاء به

وبعضهم مع اعترافهم بعجزهم عن معارضة القرآن قالوا له صلى الله عليه وسلم انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا فهو مفترى من عندك وعجزنا عن معارضته انما جاء من كثرة معرفتك وسعة اطلاعك وعلمك فقال لهم صلي الله عليه وسلم فافتروا مثله ان كنتم صادقين كما حكي الله تعالي عنهم ذلك بقوله (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يرم ذلك منهم احد مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز ولا زالوا مصرين على جحودهم وعنادهم وراموه بالاذي فاضطر صلي الله عليه وسلم الي مكافحتهم بالحرب والزامهم الحجة بالسيف ولو ان في قدرتهم معارضة هذا القرآن ولو بأقصر سورة منه كما تحداهم به لما احجموا عن المعارضة وتعرضوا لهذا البلاء العظيم وهم بلا شك اصحاب عقول تمنعهم ان يتركوا السبيل السهل ويركبوا الطريق الصعب فاضطروا بعد ذلك الى تصديقه (وقد يدرك بالعنف مالا يدرك باللطف)

والى هنا تم القسم الاول من كتاب (الهداية الى الصراط المستقيم) فى الحكم والاحكام والاعتقادات ويليه القسم الثانى في العبادات ولله الحمد والمنة

سورة	آية

القسم الثانى

في

العبادات

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين)

مقـــــــدمة

﴿ فى بيان حكم التشريع وما يقصد من الشرائع وما تشتمل عليه ﴾

اعلم ان الشريعة الاسلامية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى — والى الاحكام التى توصلهم الي انتظام احوالهم المعاشية من توطيد الامن فيما بينهم ومنع التعدى من الاشرار وذوى الاطماع على احد من الامة — والى التأدب بالآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة من الامانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وغيرها — والى كيفية عبادته المحتوية على تعظيمه واداء بعض الشكر على نعمه التى لاتحصى وهذه الاشياء الاربعة التى ترشد اليها الشرائع والمقصودة منها هي ما تشتمل عليه كل شريعة

وحيث كان غرضنا الذى نرمى اليه الآن هو بيان اصول هذا القسم الاخير وهو العبادات مع بيان ما انبث فيها من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع من السبيل التى نسلكها وهى الاستمداد من نورالقرآن الكريم فنطلب من الله جل وعلا المعونة في اصابة هذا الغرض فانه نعم الكفيل لمن التجأ اليه واعتصم به وجعل المعول عليه وهذا اوان الشروع

﴿ العبادات ﴾

العبادة هي اقصى غايات التذلل والخضوع ولكن لابد ان يكون ذلك بانبعاث مخصوص وتأثر مخصوص اذ لو رأيت رجلا يخضع لعظيم من قومه ويتذلل له وقلت له انك تعبده لأنكر ذلك عليك كل الانكار وتبرأ منه جهد المستطيع وماذاك الا لعدم وجود الانبعاث والتأثر المخصوصين عنده وهذا الانبعاث وذاك التأثر يختلفان باختلاف الاشخاص وقوة ايمانهم وضعفه وشدة مراقبتهم لجانب المعبود وعدمها ويتبعهما فى ذلك التذلل والخضوع فكلما كمل ايمان العابد واشتدت مراقبته لجانب المعبود كثر التذلل وخنعت النفس وخشعت

سورة	آية

الجوارح أثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدى المعبود تناجيه وتظهر له مقتضيات عبوديتها وهذه حالة الكمل من عباد الله تعالى الذين اشار لهم الله تعالى بقوله (واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)

(سر تكليف الانسان بالعبادة دون غيره من الملائكة والسموات والارض والحيونات والجمادات)

اعلم ان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان مهيئا بطبيعته ومستعدا بفطرته لقبول تلك العبادات بما منحه من العقل والنطق وميزه بهما عن سائر الحيوانات والجمادات لذلك كلف بهذه العبادات وحده دونها كما يشير الى ذلك قوله تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) وقد قالوا ان المراد بالامانة في الآية الكريمة المعروضة على السموات والارض والجبال ثقل عهد التكليف بان تتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية والمراد بالعرض عليهن كمال تهيئها واستعدادها لتلقي هذه التكاليف والمراد باباءهن الاباء الطبيعي الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وعليه فقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا خرج مخرج التعليل فان الظلوم من لا يكون عادلا ومن شأنه ان يعدل والجهول من لا يكون عالما ومن شأنه ان يعلم وهذه حالة الانسان اما غيره فهو اما عادل عالم لا يتطرق اليه الظلم والجهل بحال كالملائكة واما ليس بعادل ولا عالم ولا من شأنه ان يكون كذلك وذلك كالبهائم والجمادات فليس لها استعداد لتلقى هذه التكاليف بطريق الفطرة وأنما يليق بالتكليف ويستعد له من كان ذا كمال بالقوة لا بالفعل وذلك انما هو متوفر فى الانسان دون غيره من السموات والارض والحيوانات والجمادات لذلك وقع التكليف له دون سواه والله اعلم

ثم اعلم ان للعبادة وسائل بها تكون مرجوة القبول فاليك بيانها

﴿الوسائل التى بها تكون العبادة مرجوة القبول﴾

اعلم ان للعبادة وسائل هى لبنيانها قواعد وعلى القيام بها شواهد بها يبلغ المأمول وتكون مرجوة القبول

﴿منها الاخلاص فيها﴾

وهو ان يقصد العابد بعبادته ذات المعبود من غير رجاء لمثوبة او خوف من عقوبة فان قصد بها واحدا منهما فهو غير كامل الاخلاص لانه لنفسه سعى ولذا يقول صلى الله

سورة | آية

عليه وسلم (لا يكون احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل)

﴿ ومنها ترك الرياء ﴾

فان فى الرياء اشراك غيره تعالى له في العبادة وقد قال جل شأنه (ولا يشرك بعبادة ربه احداً) اى لايرائى في عمله وقال صلى الله عليه وسلم (ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء)

﴿ومنها كمال المراقبة لجانب الله تعالى﴾

وهي ان يعبد الله كأنه يراه متيقنا انه معه في كل عمل من اعماله وفى سائر حركاته وسكناته كما قال جل شأنه (وهو معكم اينما كنتم) فان راقب مولاه في العبادة على هذا النحو خشعت جميع جوارحه وخلا قلبه من كل شواغل الدنيا وتفرغ لمناجاة ربه والائتناس به فامتلأ من جلاله واشرق فيه نور جماله وهذا بعينه نهاية الايمان وكماله

﴿ ومنها المبادرة بها ﴾

وهو ان يسرع بفعلها عند حلول ادائها فان سوف رجاء ان يستدرك مافاته في وقت آخر فهو ظاهر الجهل ضعيف العقل لانه لايدرى اى يوم ينتهى فيه اجله حتى يستدرك قبله امله

فمن اتى بالعبادة على وجوهها المتقدمة واستقصى وسائلها السابقة كان ممن كمل ايمانه ورسخ يقينه وكانت عبادته الى القبول اقرب منها الى عدمه فان الله لايضيع اجر من احسن عملا

﴿ انواع العبادات ﴾

انواع العبادات اربعة صلاة وصيام وزكاة وحج واليك بيانها مع مايتعلق بها من الاحكام وماتشتمل عليه من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع والله ولي التوفيق

﴿ النوع الاول ﴾

الصلاة

هى عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وقد عرفها الفقهاء بانها اقوال وافعال مخصوصة مفتتحة بتكبير الله تعالي مختتمة بالتسليم وهو ولاشك تعريف

آية	سورة

جامع لاعمالها الظاهرية من قراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ولكن هل هذه الالفاظ اللسانية والحركات الجسمانية هي المقصودة من الصلاة والغرض الذى يرمي اليه الشارع من مشروعيتها (كلا) فان من يتأمل فيما ورد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية في عظم قدرها وجلالة مكانتها من الدين وما يترتب عليها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة كنهيها عن الفحشاء والمنكر الذى نبه الله تعالى عليه بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا) يظهر له جليا ان وراء تلك الاقوال اللسانية والحركات الجسمانية سرا مكنونا وكنزا مدفونا ضرورة ان مجرد هذه الاقوال والحركات لا يترتب عليه شيء من الثمرات ولم تكن ام الاعمال المقربة الى الله تعالى دون غيرها من سائر العبادات كما ورد بذلك الاحاديث النبوية والاخبار الا لذلك المعنى

﴿ سر الصلاة وما اشتملت عليه من الفوائد والمنافع ﴾

ان من منح الثبات وقوة العزيمة وحبب اليه فضيلة العمل والاجتهاد والمثابرة على جميع الاعمال ثم طوح ببصره الى مايرمي اليه غرض الشارع الحكيم من جعل الصلوات خمسا في اليوم والليلة في اوقات مخصوصة وما أعده من العقاب لمن تكاسل عن فعلها في تلك الاوقات والزام المكلف بها على اى حال من الحالات مهما توالت الضرورات وتعددت الاعذار تعلم من ذلك درسا فى الثبات وقوة العزيمة وحب الدأب على العمل وبغض العجز والكسل به يقاوم اعظم الصعوبات في سبيل ترقيه الى اوج الكمال ويذلل به جموح الاعمال .

وناهيك بما يقوم به المصلى من مناجاة ربه والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته وتذكره عظمته تعالي ليأمن الغفلة عنه في ليله ونهاره بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فتلازمه المراقبة بان عليه رقيبا مهيمنا قريبا فيحجم بذلك عن العصيان ويهجر اماني الشيطان

وحدث عما يترتب على الاجتماع فيها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة وذلك ان الله جلت قدرته وعلت كلمته اراد ان يجمع المسلمين من سائر اقطار العالم فى يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضا واحدا وهو توجه قلوبهم اليه تعالي بمناجاتهم له وخضوعهم لذاته العلية ليرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون ويتعاونون ويتآلفون ويطلع بعضهم على شؤن البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر فيقضي له حاجته اذا كان محتاجا او يفرج عنه اذا كان مضيقا عليه او يهديه الى مافيه صلاح دينه ودنياه فشرع لهم الاجتماع في اوقات هذه الصلوات لذلك والله بسر عباداته عليم .

سوره	آية	

وفي الجماعة ايضا ارشاد وتعليم الى بث فضيلة العدل وحب الانصاف فانك ترى الغني المترفه على وفرة ماله وقوة سلطانه وكثرة خوله وأعوانه يقف فيها مع الفقير البائس الذى لا يملك قوت يومه مع رثاثة هيئته وقلة ذات يده كتفاً لكتف وجنبا لجنب وقدما لقدم لا يأنف نفسه من ذلك ولا تعاف الوقوف بجانبه بل تجد من هو أعظم من ذلك مكانة واسمى منزلة وأعلى مرتبة كالملوك فان الشريعة تسوي بينهم وبين السوقة فيها فلا غرو اذا تذللت نفوسهم بذلك وصار العدل فيهم ملكة فيعدلون فى الرعية ولا يجورون في القضية خصوصاً وان ذلك يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات فيكون أدعى الى كسر سورة نفوسهم وركونها الى الذل والخضوع والتواضع ومقاومة ما هو كامن في نفوسهم من الانفة والعظمة والجبروت التى هي وسائل الظلم والجور

وحسبك ما أودع في هذه الصلوات وما ترشد اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة — من الادب حيث يجلس جلسة المتأدب ولا يرفع صوته على صوت امامه وينصت الى استماع مايقرؤه ولا يتقدم عليه ولا يساويه فى الوقوف وفي ذلك من الادب ما لا يخفى

ومن التواضع حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الارض ويقف بجوار من هو أحط عنه وأقل منزلة منه ويرضخ لان يكون تابعا في الامامة لمن هو اقل منه رواء وأخس بزة وبهاء

ومن الحلم حيث يوطن نفسه على متابعة امامه مهما صنع مالا يلائم نفسه من الاطالة فى القراءة والركوع والسجود اذ يعلم انه لا مناص له من متابعته ولا يمكنه الخروج من صلاته الا حيث يخرج وفي ذلك من الصبر وهو مقاومة الآلام والاهواء مالا يخفى

ومن الحياء حيث يحفظ نفسه من كل مايشينها ويعيبها فلا ترى منه عضوا بارزاً ولا بشرة بادية كما لا تراه يحمل درنا أو يلم شعثاً بل تراه نظيف الثياب حسن السمت جميل الهيئة الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

وناهيك بما اشتملت عليه من افعال التعظيم ففيها يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله تعالى وعظمته ويعبر اللسان عن تلك العظمة وتؤدب الجوارح حسب ذلك الخضوع وأعظم من ذلك وأكبر أن يستشعر ذلته وعزة ربه فينكس رأسه علامة على الخضوع والاخبات وأعظم من هذا وذلك ان يعفر وجهه الذى هو اشرف أعضائه ويجمع حواسه بين يدى ربه الى غير ذلك من الثمار اليانعة والفوائد النافعة

ولما للصلاة من هذه الفوائد الجمة والمنافع العامة كانت معراجا للمؤمن يصعد به الى حظيرة القدس وينال القرب به من ذي العرش وسبباً عظيما لمحبة الله تعالى ورحمته وشعاراً

سورة	آية

للمسلم يتميز به من الكافر وهو مايدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) ولها غير ما ذكر من الفوائد والثمرات وفيما تقدم كفاية للمسترشد والله الموفق والمسدد

واليك بيان كيفية الصلاة وما ينبغي للمصلي أن يلاحظه عند أدائه كل ركن أو شرط من أعمالها

﴿ كيفية الصلاة ﴾

(وما ينبغي ان يلاحظه المصلي عند اداء كل شرط من شروطها)

﴿ شروط الصلاة ﴾

اعلم أنه لا يصح لمن يريد الدخول فى الصلاة أن يدخلها الا اذا استوفى شرائطها السابقة عليها وهى طهارة ثوبه وبدنه ومكانه الذى يصلى فيه وستر عورته واستقباله القبلة ونيته الدخول فى الصلاة ثم بعد ذلك يدخل فيها وعليه عند مباشرته هذه الاعمال أن يلاحظ الاعتبارات الآتية

فيلاحظ في فعل الطهارة ان الغرض منها الدخول فى حضرة مولاه والتمثل بين يديه قائما فلا يكون مع ذلك الا طاهر البدن والمكان والثوب والقلب بالتوبة والندم على مافرط وتصميم العزم على ترك ما اقترفه من الذنب فى المستقبل فان الله جل شأنه يستوى عنده الظاهر والباطن فيستوى عنده طهارة البدن والثوب والقلب لان الكل لديه سواء

ويلاحظ فى ستر عورته أنه ليس الغرض منها تغطية مقابح البدن فقط بل المقصود ستر معايبه الباطنية وعورات سرائره الداخلية التى لا يطلع عليها أحد غير الله تعالى فضلا عما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق ادب المناجاة بين يدى رب العالمين . وينبغي مع ذلك أن لا يكون الساتر للعورة مما يشغل الانسان ويلهيه عن الصلاة لحسن هيئته أو تعجيب النفس به فان ذلك مناف للخشوع الذي هو لب الصلاة

ويلاحظ في استقبال القبلة صرف قلبه عن كل ما عدا الله تعالى الى الله تعالى كما صرف ظاهر وجهه عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالي فان ذلك هو المقصود وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات في جهة واحدة فقد قال صلى الله عليه وسلم (اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه)

ويلاحظ فى النية أن يمتثل أمر الله تعالى بالصلاة ويخلص فيها لوجهه وانه يناجي الله تعالى بعمله ذلك فينظر كيف يناجى وبأى شىء يناجي وعندها يعرق جبينه من الخجل وترتعد فرائصه من الهيبة ويصفر وجهه من الخوف

سورة	آية	

فاذا استوفي هذه الشروط ولاحظ هذه الاعتبارات المتقدمة فما عليه بعد ذلك الا أن يقوم لاداء هذه الخدمة فيتمثل بين يدى الله قائماً صافا قدميه مطأطئاً رأسه هادئة جميع أطرافه خاشعة جميع جوارحه ساكنة جميع اجزائه ثم يفتتح الصلاة

(هيئة الصلاة وماتشتمل عليه من الاركان وما ينبغى أن يلاحظه المصلى عند أداء كل ركن من اركانها)

أول عمل يدخل به المصلى فى الصلاة أن يرفع يديه حذاء أذنيه قائلا الله أكبر وفيه الاشارة للمصلى ان يستحضر ان مولاه الذى هو عازم على التمثل بين يديه أكبر من كل شيء فلا يشغل قلبه بشيء سواه ثم يضع يده اليمني على اليسرى تحت سرته بهيئة أدب وذلك لما فيه من تحقيق الخضوع والتنبيه للنفس على مثل الحالة التى تعترى السوقة عند مناجاة الملوك من الهيبة والدهشة والسكون والادب والخوف ثم يستفتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك والغرض التمهيد لحضور القلب وتنبيه الخاطر الى المناجاة فهو بمنزلة استفتاح خطاب الملوك بذكر الالقاب التي تذكر قبل مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتبجيل ولله المثل الاعلى ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم لانه عدوه وحريص على تفريق قلبه بوساوسه حسدا له على مناجاته مع الله عز وجل وسجوده له مع انه طرد من رحمة الله بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وكل ما شغل عن فهم معانى القرآن فهو وسواس يجب أن ينبذه المصلى ويعلم انه من مكايد الشيطان الذى هو ألد أعدائه ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم سراً لما شرع الله لنا من تقديم التبرك باسم الله على القراءة ثم يقرأ فاتحة الكتاب وكأن الاشارة في قراءتها ما يأتي وهو انه يلاحظ ان كل النعم من الله عز وجل فيأخذ فى الثناء عليه لذاته العلية المستحقة لجميع المحامد ومن أجل تلك النعم انه مربي للعالمين الذي هو فرد منهم على موائد كرمه ولشعوره من نفسه بالتقصير في جانب تلك النعمة فما عليه الا ان يلتجيء الى رحمته الواسعة لعله يناله شيء منها ولما كان التجاؤه الصرف الى الرحمة ربما يكون داعية البطر والغرور ناسب أن يؤتى له بصفة الجلال والقهر وهو انه مالك يوم الدين والجزاء والحساب وجدير بمن كان مربياً للعالمين وواسع الرحمة ومتصفاً بالجبروت أن يتوجه اليه بعبادته التي هي بعض الشكر على نعمه ثم ينظر الى حاله فيجد أنه عاجز أشد العجز عن القيام باداء ذلك الشكر ان لم يعنه الله تعالى فيطلب الاعانة منه تعالى على اداء تلك الخدمة والقيام بتلك العبادة ثم يلاحظ أنه وجد من نفسه فى توجهه ذلك بالعبادة وطلب المعونة منه تعالى استعداداً وتهيأ لقبول دعائه فيطلب من الله تعالي الهداية الي الصراط المستقيم صراط الذين أفاض الله عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب الله عليهم من الكفار

سورة	آية

والزائغين من جميع الامم الضالة ثم يختم ذلك الدعاء بطلب الاجابة لما دعابه مولاه اذ هو أكرم مسؤل وأقرب مجيب فيقول آمين أى استجب لنا ياربنا مادعوناك به ثم يقرأ شيئاً من القرآن غيرَ الفاتحة لما فيه من المواعظ الوافية والدلائل الكافية التى هي الدواء الشافى من أمراض الاعمال والاعتقادات السيئة وينبغي أن تكون قراءته للفاتحة وهـذا الجزء من القرآن غيرها سرا فى الظهر والعصر وجهرا فى الصبح وأولتي المغرب والعشاء ان كان اماما أو منفردا وان كان مأموما وجب عليه الانصات والاستماع ان كان الامام يجهر وان خافت فله الخيرة والسر فى مخافتة الظهر والعصر ان النهار مظنة الغوغاء واللغط في الاسواق والدور فالمخافتة فيهما أقرب للخشوع وأدعى الى عدم التشويش وأما غيرهما فوقت هدو الاصوات والجهر أقوب للتذكر والانعاظ

ثم بعد ذلك يخر راكعا ممثلا صورة عجزه واحتياجه الى مولاه فى هدايته لذلك الدواء مكبرا له وشاهداً له بالعظمة ثم يسبح مولاه وينزهه عن كل نقص قائلا سبحان ربي العظيم ويكرره ثلاثا ليؤكده بالتكرار ثم يرفع من ركوعه ويستوي قائما حامداً الله على هدايته الى هذا الدواء قائلا سمع الله لمن حمده أي اجاب لمن شكره ثم يردف ذلك بالشكر المقتضي للمزيد فيقول ربنا ولك الحمد ثم يهوى الى السجود قائلا الله اكبر ممثلا كمال صورة العجز عن اداء الشكر لمولاه على نعمة الهداية وانه لاحيلة له الا وضع اشرف اعضائه اليه واعزها لديه وهو الوجه على اخس الاشياء واحقرها وهو التراب ولما فيه من غاية الذل والخضوع يتذكر عظمة الله تعالى الذي له هـذا الذل والانكسار فينطلق لسانه قائلا سبحان ربي الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار ثم يرفع من سجوده قائلا الله اكبر كأنه يشير الى انه تعالى اكبر من ان يستوفى تعظيمه مهما قضي من العمر في بذل المجهود في تحصيل ذلك وبعد رفعه من السجود يجد ان هذه الحالة السجودية التي هى نهاية الخضوع والذل لم يقض أربه منها فيسجد ثانياً لتحصيل ذلك الارب منزها مولاه عن كل ما لا يليق به قائلا سبحان ربي الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية وبذلك يسمي ماعمله كله ركعة ثم يقوم ليأتي بركعة ثانية ويفعل بها ما فعل في الاولى ملاحظاً كل الاعتبارات المتقدمة الا انه لا يستفتح ولا يتعوذ ولا يرفع يديه اذ لا يرفعهما الا في التكبيرة الاولى وبعد تمام الركعة الثانية يتشهد وصيغته (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله) ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغتها (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ثم يدعو الله بما

سوره	آية	
		شاء ان يدعوه ثم يسلم ان كانت الصلاة ثنائية وان كانت ثلاثية او رباعية كبر بعد فراغه من التشهد قائما ليأتي بركعة ثالثة في الثلاثية وبائنتين في الرباعية ثم اذا اتم الثالثة في الثلاثية والرابعة في الرباعية جلس وتشهد بالكيفية المتقدمة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون بعيد التشهد الاخير من كل صلاة وكذا الدعاء تقريبا
		فمن صلى بهذه الكيفية مراعيا فيها هذه الاعتبارات الاولية كانت صلاته صلاة الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . ومن اداها على غير هذا الوجه من الخضوع والخشوع والتعظيم والحياء كانت صلاته وبالا عليه وعملا بلا فائدة تعود اليه والله ولي التوفيق
		﴿ فصل في الاذان والاقامة ﴾
		لما علمت الصحابة رضوان الله عليهم ان الجماعة مطلوبة مؤكدة ولا يتيسر الاجتماع في زمان واحد ومكان واحد بدون اعلام وتنبيه تكلموا فيما يحصل به الاعلام فذكروا النار فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشابهة المجوس وذكروا القرن فرده لمشابهة اليهود وذكروا الناقوس فرده لمشابهة النصارى فرجعوا من غير تعيين فأرى عبد الله بن زيد الأذان والاقامة في منامه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رؤيا حق وصيغتهما ان يقول في الاذان (الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله) وفي الاقامة هذه الالفاظ بعينها غير انه يزيد بين التكبير الاخير وبين حي على الفلاح قوله (قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة) وقد زاد صلى الله عليه وسلم على صيغة الأذان المتقدمة في اذان الصبح (الصلاة خير من النوم مرتين) وذلك لان الوقت وقت نوم وغفلة فاقتضى ان ينبهوا من غفلتهم ويوقظوا من نومهم وينبغي لمن يسمع المؤذن ان يقول مثل قوله الا عند قوله حي على الصلاة وحي على الفلاح فانه يقول السامع لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
		(وقد بين جل شأنه ان الصلاة اذا اتى بها بالكيفية المتقدمة مستوفية الشرائط والاركان كان من بعض فوائدها انها تغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة فقال)
المعارج	١٩	إِنَّ الانسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ٢٠ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ٢١ وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً ٢٢ إِلاَّ المُصَلِّينَ

سوره	آيه

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى امرين

(الاول) ان الصلاة اذا اتى بها المصلي على وجهها المطلوب من الخشوع والتعظيم والحياء غيرت ما جبلت عليه نفسه بطريق الفطرة من الهلع وهو شدة الحرص اذ منشؤه الركون الى الدنيا والصلاة بما فيها من الخضوع لعظمة الله عند ما يناجيه ويقف بين يديه يتضرع اليه ويتذلل له ويستحضر خشيته في قلبه ويتذكر عظمته ويخاف عقابه تدفع بصاحبها الى ترك الدنيا وترك العاجل والرغبة فى الآجل فينتزع بذلك ما كان كامنا في فى قلبه من الركون الى الدنيا فينبو قلبه عن الحرص ويترك ما كان عليه من الهلع ٠

(الثانى) ان الانسان خلق بفطرته متقلبا فى احواله غير ثابت في احواله ان رزقه الله من الخير بطر وطغى ومنع حقه فيه وان اصابه بالشر جزع وسخط فاذا أتى من هذه حالته بالصلاة كل يوم خمس مرات فى اوقاتها المحدودة وعلم انه ملزم بها علي اي حالة من الحالات مهما اعتوره من الاعذار والضرورات لاجرم كانت المداومة علي ذلك سببا في توطين نفسه علي الثبات وقوة الجأش وخضوعها لكل مايجرى عليها من خير او شر لعلمها ان الخير والشر من الله الذى تناجيه فى اليوم خمس مرات وتستكين لعظمته وتقر بربوبيته وتعترف بوحدانيته

ولو لم يكن لهذه العبادة المحمودة الا هاتان الفضيلتان وهما تغييرها الطباع الثابتة من أخس الاخلاق وادناها وهو شدة الحرص الى اجلها واعلاها وهو ترك الحرص وانها يمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة وتوطين النفس على التؤدة في الامور لكفاها فضلا وشرفا وفخرا وذكرا والله اعلم بسر عبادته وهو ولى التوفيق

وقال تبارك اسمه فى بيان بعض مااشتملت عليه الصلاة من الفوائد والمنافع وهو انها تنهي عن الفحشاء والمنكر)

العنكبوت	٤٥	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى بعض ما يترتب على فعل الصلاة من الثمار اليانعة والفوائد النافعة وهو انها تنهي فاعلها عن ارتكاب الفحشاء وفعل المنكر وذلك لان الصلاة قد اشتملت علي صنوف العبادات من الذكر والقراءة والركوع والسجود والقيام والقعود الدالة على نهاية التعظيم وغاية الخضوع لله جل وعلا وهو مع ذلك كله لا بد ان يكون حاضر القلب

سوره	آية	
		خالي الفكر من كل الشواغل الدنيوية مستحضرا عظمة الله وخشيته بقلبه جازما بأنه بحضرة مولاه وواقف بين يديه يناجيه ويتضرع اليه ويخضع لارادته ويمتثل لمشيئته فتتمثل بذلك عظمته تعالى بقلبه فترتدع نفسه عن الشهوات وتعدل عما كانت تصر عليه من المنكرات وبذلك ينتهي فاعلها عن الاتيان بما يكرهه منه مولاه من الفحشاء والمنكر قل ذلك او كثر والا كان كالمتناقض في افعاله لانه اتى في الصلاة بما يدل على عظمته تعالى وكبريائه من الاقوال والافعال مما لا يصح معه ان ينابذ صاحب هذه العظمة والكبرياء بالعصيان او يجاهره بالمنكر لان الاقدام على المعصية يدل على عدم مبالاة العاصي وقلة اكتراثه بمن يعصيه واعتقاد عظمته تعالى وكبريائه ومايفعل فيها من الخشوع والخضوع والتعظيم يناقض ذلك والله بسر كلامه عليم فكأنها تقول لمن يأتي بها لاتفعل الفحشاء والمنكر ولا تعص ربا هو اهل لما أتيت به وكيف يليق بك ان تعصيه وقد اتيت بما يدل على عظمته مما تكون به ان عصيت وفعلت الفحشاء والمنكر كالمتناقض في افعالك
		(وقال تبارك اسمه في بيان أن الصلاة لاتكون سبب الفلاح والنجاح الا باصطحاب الخشوع في جميع اقوالها وافعالها مع المحافظة عليها والمداومة على ادائها في اوقاتها المعينة لها)
المؤمنون	١	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ٢ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٦ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٧ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ١٠ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١١ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
		﴿ ما تفيده هذه الآيات الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآيات الكريمة اشتراط الخشوع في الصلاة وان لا صحة لها الا به وذلك قوله تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) حيث علق الفلاح على الخشية والخشوع في الصلاة وذلك لان المقصود من الصلاة أثرها وهو التعظيم والخشوع القلبيان لا هذه الحركات الظاهرية من الركوع والسجود والقيام والقعود وحيث كان التعظيم والخشوع القلبيان لايظهر أثرهما في الخارج على الجوارح الا بهذه الحركات شرعت الصلاة بهذه الحركات المخصوصة التي هي نهاية التعظيم والخشوع لتدل على ما في القلب

آية	سوره

منهما لخشوعها اذن عنوان خشوع القلب وعلامة الخشوع بالنسبة لقلب حضوره وخلوه من كل شيء غير ما هو فيه ولو من امور الآخرة وبالنسبة للجوارح سكونها وعدم العبث بها فلا يميل منها طرف ولا يتحرك منها عضو ولا يلتفت لا الى ذات اليمين ولا الى ذات الشمال فان ذلك كله يستدعي الغفلة عما هو فيه والله تعالي يقول (وأقم الصلاة لذكرى) ولا شك ان الغفلة تضادّ الذكر فمن غفل في جميع صلاته لا يكون مقيما الصلاة لذكره والامر للوجوب ويقول النبي صلي الله عليه وسلم {ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها} ولا ريب في ان الغافل بما استولي على قلبه من الهواجس والوساوس الشيطانية لا يعقل من صلاته شيأ فهي لا شك وبال عليه وعمل بلا فائدة تعود اليه

فقد تبين ان الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع باطلة وقد علمت سبب ذلك فمن لم يخشع في صلاته فقد أتعب نفسه وكلفها من العمل ما كانت في غني عن ضياع الوقت فيه بدون ادنى فائدة ترجع عليها ويا ليته كان عملا لا فائدة فيه فقط بل هو محاسب على ضياعه باشتغال باله ومطاوعة شهوة نفسه في اهماله

هذا وقد ختم الله هذه الايات بما يفيد الحث على المحافظة على الصلاة بتأديتها في اوقاتها بشروطها وأتمام ركوعها وسجودها وسائر اركانها على الوجه الشرعي المرضى اشارة الى عظم شأنها وعلو مكانتها فكأنه تعالي يقول ان الفلاح في الصلاة متوقف على الامرين معا وهما الخشوع والمحافظة عليها بتأديتها في اوقاتها

وفي الآيات الشريفة غير اشتراط الخشوع والحث على المحافظة على الصلاة الحث على ترك الاشتغال بما لا يعنى ولا يفيد من لغو القول والفعل اى القبيح منهما والحث على اداء الزكاة التي هي عبادة مالية بها تتزكي النفس وتتطهر من كل رذيلة ودنية وتحريم الزنا وعدم التمتع باحد غير ما أحله الله له من زوجته وما ملكت يمينه من الاماء والحث على الامانة وحفظ العهد وانجاز الوعد

وبعد أن بين سبحانه في هذه الايات الكريمة المؤمنين المتصفين بما فيه الفلاح والنجاح بين جزاءهم في الآخرة حيث قال {أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون} اي اولئك المؤمنون المتصفون بالاوصاف المذكورة هم الوارثون للجنة خالدون فيها لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا جعلنا الله منهم بمنه وكرمه

(ولاستجماع الصلاة انواع البر والخير كانت أنجح الوسائل في بلوغ الانسان أمنيته وقضاء حوائجه ولذا أمرنا جل شأنه بالاستعانة بها والالتجاء اليها عند ما تقع في مهم فقال)

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ | البقرة | ٤٥

سورة	آية	
		﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى ان الانسان اذا دهمه أمر من الامور او ألمت به ملمة وعزّ التخلص منها فعليه ان يتوسل بالصلاة فى دفع ذلك ويطلب المعونة من الله جل شأنه فى ازالة ما نزل به بأنجح الوسائل اليه واعظم القربات لديه وهو الصلاة وذلك قوله تعالي { واستعينوا بالصبر والصلاة } اي اطلبوا المعونة من الله تعالى بهما على دفع ما ألم بكم من الملمات ولما كانت هذه الصلاة من اعظم القربات ولا تكون كذلك الا اذا أتى بها مستوفية الشرائط والاركان وقل من يأتي بها كذلك كانت ثقيلة وصعبة الا على من وفقهم الله لطاعته وذاقوا حلاوتها وتحققوا بما عند الله من الثواب الذي ادخره لهم وهم الخاشعون الذين بينهم الله جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا علي الخاشعين) أى فانها غير كبيرة وثقيلة عليهم وذلك لانهم عارفون بما يحصل لهم بسببها متوقعون ما ادّخر من ثوابها فتهون عليهم ولذا قيل من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية
		(وقد علم جل شأنه ما للصلاة من جليل المنفعة وعظيم الفائدة فأمر بالمحافظة عليها والمثابرة على فعلها فقال)
البقرة	٢٣٧	حافِظُوا علَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِين
		﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة الحث على المحافظة علي الصلاة والمداومة عليها من غير اخلال بركن أو شرط وخصوصا الصلاة الوسطى وهى صلاة العصر وبعد ان حث الله جل شأنه على المحافظة عليها بين ما يجب ان يكون عليه المصلي فى حال صلاته من الخشوع وطول الركوع وغض البصر وعدم العبث بشيء من ثيابه أو اعضائه وعدم حديثه نفسه بأمر من امور الدنيا فقال (وقوموا لله قانتين) اى وقوموا في الصلاة قانتين اى مكملين لها ومتممين على احسن وجه من غير اخلال بشيء مما ينبغي ان يكون فيها من الخضوع والخشوع وطول الركوع وغض النظر وعدم الالتفات وغيره مما هو خارج عن هيئة الصلاة والله اعلم
		﴿ جزاء تارك الصلاة ﴾
		اعلم ان الصلاة افضل العبادات واعظم انواع القربات وان من أقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وانها سبب الفلاح والفوز بالسعادة وانها جامعة لصنوف البر والخير وانها أنجح الوسائل الى الله تعالى واعظم القربات لديه في تفريج الكروب وازالة البؤس

آية	سوره	
		وقضاء الحوائج وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة الى غير ذلك من صنوف البر والخير فلا جرم اذا عوقب تاركها بأشد انواع العذاب وباء بالخسران والحسرة والندامة والخذلان على ما فرط في جنب هذا الخير الجسيم والفضل العظيم العميم
		(ولذا يقول الله تعالى في بيان جزاء تارك الصلاة ومايستحقه من النكال وما يحيق به من الوبال)
٣٨	المدثر	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٩ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٤٠ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤١ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤٢ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٣ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ

﴿ ما تفيده هذه الآيات الكريمة ﴾

تفيد هذه الايات الكريمة تفخيم امر الصلاة وتعظيم شأنها بما قرنته من النكال الشديد والعذاب الاليم لمن ترك الصلاة ولم يحافظ عليها حاكية احوالهم في الدار الاخرة ومايقولونه عند ما يسئلون عن سبب دخولهم النار وتعذيبهم فيها العذاب الاكبر من ان سبب ذلك انهم لم يكونوا من المصلين الذين يؤدون الصلاة فى اوقاتها وذلك قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين) اى كل نفس بما كسبته من الاعمال مرهونة عند الله تعالى مؤاخذة عليه بما تستحقه من العذاب الاليم الا اصحاب اليمين وهم المؤمنون المخلصون فان نفوسهم غير مرهونة لانهم فكوها بما احسنوا من الاعمال كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وهم لذلك في جنات يتنعمون فيها ويتلذذون بجميع انواع الملاذ ويسألون المجرمين عن احوالهم وهم فى الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم اي شيء ادخلكم في سقر قالوا جوابا لهم عن سؤالهم لم نك من المصلين اى سبب دخولنا النار وما نقاسيه فيها من العذاب الاليم هو تركنا الصلاة

آية	سوره	
		(وقال تبارك اسمه في بيان جزاء من يسهو ويغفل عن الصلاة حتي يخرجها عن وقتها المعين لها)
٤	الماعون	فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

سوره	آية	
		﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما اعده الله من العقاب الاليم والعذاب الشديد لمن سها عن صلاته وغفل عنها وذلك اما عن فعلها بالكلية بان تركها ولم يأت بها أبدا واما عن فعلها في الوقت المعين لها شرعا فيخرجها عنه بالكلية واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فمن اتصف بشيء من ذلك كان له نصيب من ذلك الويل والعذاب ومن اتصف بجميع ذلك تم له نصيبه منه وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال (تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتي اذا اصفرت وكانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا)

(وقال جل ذكره في بيان حال المنافقين بأنهم هم الذين اذا قاموا الي الصلاة قاموا كسالي)

النساء ١٤١ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان المنافقين وأحوالهم المستحقين بها للعقوبة المذكورة فى قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) بأنهم هم الذين يخادعون أى يفعلون مايفعل المخادع فاعمالهم فى صورها أعمال المؤمنين ولكن بواطنهم خاوية من حقيقة الايمان والذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى أي متثاقلين متباطئين لا نشاط عندهم فى فعلها ولا رغبة لهم فى اقامتها كما ترى من يفعل شيأ على كره منه لا عن طيب نفس ورغبة والذين يراؤن الناس أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا اى لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون غائبين عن اعين الناس بل لا يفعلونها الا بحضرة من يراؤنهم وهو اقل احوالهم لانهم متى وجدوا سبيلا الى عدم تكلف ما ليس في قلوبهم لم يفعلوه وان شخصا لايعمل من الخير الا ريثما يراه الناس ليثنوا عليه خيرا لجدير بالسخافة حقيق بالملامة فما اضعف عمله واقل معرفته وابعده عن تحقيق النظر وتصحيح الفكر

فهذه هي حالة المنافقين التى بينها الله تعالى

﴿ اوقات الصلوات المفروضة ﴾

اعلم ان الصلاة اعظم العبادات شأنا واوضحها برهانا واشهرها فى الناس وانفعها في النفس ولذا اعتنى الشارع ببيان فضلها وتعيين اوقاتها وغير ذلك من شؤنها واحوالها اعتناء

آية	سورة	
		عظيما لم يفعل فى سائر الطاعات فمن ذلك ان عين لصلاة الصبح وقتا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وللظهر وقتا من تحول الشمس عن وسط السماء الى الجهة الغربية حتى يصير ظل كل شيء مثله وللعصر وقتا من خروج وقت الظهر الى غروب الشمس وللمغرب وقتاً من غروب الشمس الى مغيب الشفق وهو الحمرة التى تكون بعد غروب الشمس وللعشاء وقتا من مغيب الشفق الى طلوع الفجر
		وذلك والله اعلم لان فائدة الصلاة وهي مراقبة جانب الحق جل جلاله وتمثل عظمته تعالى في قلب العبد لاتحصل الا بمداومة عليها وملازمة لها واكثار منها ولما كان الدوام المستمر الحقيقي غير ممكن لانه يترتب عليه ترك جميع المصالح الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالكلية اوجبت الحكمة الالهية ان يأمروا بالمحافظة عليها والتعهد لها بعد كل برهة من الزمن ليكون فى ترقب الصلاة التالية وانتظارها بعد الصلاة التى قبلها محو لغفلة التى ربما دخلت فى جذور القلوب فحالت بينها وبين مراقبتها للحق فتحيط الخطيئة بها وتكتنفها الظلمات والذنوب فتحجب عن كل مطلوب وتمنع من كل مرغوب فوجب لذلك تعيين الاوقات لهذه الصلوات
		ولعل تخصيص هذه الاوقات الخمسة بالتعيين لانها اوقات فراغ الانسان من عمله وكان احق ماتؤدى فيه الصلوات الاوقات التى تكون فيها النفس خالية عن الاشغال الماشية المنسية ذكر الله تعالى لتصادف قلبا فارغا فتتمكن منه وتكون اشد تأثيرا فيه وهو قوله تعالى (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) لان القلب فيه قد خلا من كل الشواغل الدنيوية وصفا وصار مستعداً للفيوضات الرحمانية والتجليات والنفحات الربانية فترى صلاة الصبح في وقت لم يبتدىء فيه من العمل بشيء وصلاة الظهر في وقت القيلولة والاستراحة من عناء العمل ثم اذا ابتدأ فى تكميل عمله لابد ان يعتريه بعد زمن قريب من الكل والتعب مايلجئه الى الراحة فيصلى صلاة العصر حين ذلك حتى اذا رجع من عمله الى منزله واطمأنت نفسه فيه وجب عليه ان يؤدى صلاة المغرب وبعد ذلك كله واستراحته الراحة التامة وليكون آخر عمل له في ليله ونهاره طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما مضى وصقلا للصدأ وجب عليه ان يؤدي صلاة العشاء وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل الاول ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة)
		وبالجملة ففي تعيين الاوقات سر عميق من وجوه كثيرة وقد تمثل جبريل عليه السلام وصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلمه الاوقات

سوره	آية	
		﴿ وقد قال الله تعالى في بيان هذه الاوقات لتلك الصلوات ﴾
هود	١١٥	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ١١٦ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

﴿ مانشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

تسير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان اوقات الصلوات الخمس وذلك لان قوله تعالى (واقم الصلاة طرفي النهار) معناه واد الصلاة في اول وقتها على تمامها طرفي النهار اى في الغدوة والعشية فصلاة الغدوة الصبح وصلاه العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال الى الغروب عند العرب عشى وقوله وزلفاً من الليل) اي ساعات قريبات من الليل والصلوات التي تصلي فيها المغرب والعشاء وقد اخذ جل شأنه بعد ان بين اوقات الصلوات المفروضة واشار الى انها خمس في اليوم والليلة بين مالهذه الصلوات الخمس من الفضائل والفوائد والمنافع حيث قال (ان الحسنات يذهبن السيئات) اى ان الصلوات الخمس يذهبن السيئات ويكفرنها ويذهبن المؤاخذة عليها والمراد بالسيئات الذنوب الصغائر لان الكبائر لا يكفرها الا التوبة او عفو الله تعالي يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس كفارة لما بينها مااجتنبت الكبائر) وبعد ان حث جل شأنه على اقامة الصلوات وبين أوقاتها ومالها من الفوائد والمنافع كر الى الذكير بالصبر لفضل خصوصية وعظيم مزية فقال (واصبر) أي على امتثال ماأمرت به والانتهاء عما نهيت عنه اذ لايتم شيء من ذلك الا به فان الله لايضيع اجر المحسنين أي يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيأ فلا يهمله ولا يبخسه بنقص

﴿ شروط الصلاة ﴾

اعلم أن للصلاة شروطا لابد منها ولاتصح الا بها ولاتنعقد الا بفعلها وهي أولا طهارة بدن المصلي وثوبه ومكانه من اعيان نجسة وهذه تسمي طهارة الخبث وطهارة بدنه من احوال اعتبارية تسمى احداثا يعتبر قيامها في بدنه عند حدوث أمور مخصوصة وهذه تسمي طهارة الحدث وهى قسمان طهارة صغري وتسمى وضوأ وطهارة كبرى وتسمى غسلا ومحل ذلك كله اذا وجد ماء ليتوضأ به او يغتسل منه وقدر على استعماله فان لم يجد ماء او وجده ولم يقدر على استعماله لخوف مرض او اشتداده استعاض عنهما بالتيمم وهو من خصائص هذه الامة المحمدية لقوله عليه الصلاة والسلام (جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا) وستر العورة واستقبال القبلة والنية فمن فقد شرطا من هذه الشروط المقدمة بطلت صلاته

آية	سورة	
		(وقد بين الله طهارة الحدث باقسامها الثلاثة وكيفيتها بقوله)
٧	المائدة	يَا أَيها الذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُم وَأَيْدِيَكُمْ الى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ الى الكَعْبين وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنتم مَرضَى أَوْ علَى سَفَرٍ أَوْ جاء أَحَد مِنكُم من الغَائِطِ أَوْ لاَمَستُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُوا ماء فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنهُ ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم وَلِيُتِمَّ نِعمَتَه عَلَيكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشكُرُون

ما تفيده هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان طهارة الحدث صغرى وكبرى وبيان بدلها وهو التيمم اذا مست الحاجة اليه بأن فقد الماء أو منع من استعماله احد الموانع الآتية فى الآية بعد فلبيان الطهارة الصغرى وهى الوضوء قال الله تعالى (ياايها الذين آمنوا اذا قمتم الي الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين) اى ياايها الذين آمنوا اذا اردتم القيام للصلاة وكنتم محدثين فاغسلوا وجوهكم اى اسيلوا عليها الماء بحيث تتقاطر وايديكم الى المرافق اى واغسلوا ايديكم الى المرافق اى معها وهي جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد وامسحوا برؤسكم اى امسحوا رؤسكم اى جميعها وهو مذهب مالك واحمد بن حنبل او بعض رؤسكم وهو مقدر بربع الرأس عند ابى حنيفة وغير مقدر بشئ عند الشافعى بل ولو مسح شعرة واحدة من رأسه عنده اجزأه ولكل من الفريقين ادلة ليس هذا موضع ذكرها ثم قال تعالي (وارجلكم الى الكعبين) اي واغسلوا ارجلكم الى الكعبين وهما العظمان البارزان من الجانبين عند مفصل الساق والقدم فهذه هى اعمال الوضوء التى اوجب الله على كل مصل محدث ان يأتى بها عند ارادة القيام الى الصلاة .

والاحداث التي توجب ذلك هى — خروج خارج من السبيلين عينا كان او ريحا . وخروج الدم والقيح والقيء ملء الفم . والنوم مضطجعا او مستندا لشئ يسقط بزواله . وزوال العقل . والقهقهة فى صلاة ذات ركوع وسجود

وهذا اذا لم يكن مريد الصلاة جنبا اما اذا كان جنبا فالواجب عليه ان يغتسل وقد افاد الله ذلك بقوله (وان كنتم جنبا فاطهروا) اى وان كنتم عند ارادة القيام للصلاة جنبا فاطهروا اى فاغتسلوا على اتم وجه وذلك بأن تتمضمضوا وتستنشقوا وتتوضؤا بالكيفية المتقدمة ثم تغسلوا جميع جسدكم وهو الطهارة الكبرى

سوره	آية	

ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة اذا لم يكن المصلي مريضا مرضا يخشى معه الضرر باستعمال الماء او كان مسافرا ولم يجد ماء او وجده وكان قليلا يخشي باستعماله الهلاك من العطش او فقد اناء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الاصغر او الاكبر فيجب التيمم في هذه الاحوال كلها * وكيفيته ان يضرب بيديه على شيءٌ من اجزاء الارض طاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه وبالاخرى يديه الى المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى او على سفر اوجاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) اي وان كنتم مرضى مرضا تخشون الضرر معه باستعمال الماء او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغائط اي المكان المنخفض وهو كناية عن الحدث لان العادة ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه فيه عن اعين الناس او لامستم النساء اي واقعتموهن فلم تجدوا مع كل ذلك ماء لتطهروا به للدخول فى الصلاه (وهو راجع لما عدا المرضي فتيمموا صعيدا طيباً اى فاستعيضوا عن الماء لعدم وجودكم له او عدم قدرتكم على استعماله بشيءٌ من اجزاء الارض فاقصدوه وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء او الغسل بينها الله تعالى بقوله (فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) اي من هذا الشيء وذلك بأن يضرب بيديه على هذا الشيء الطاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه فيستوعبه بالمسح وبالاخرى يديه ويستوعبهما بالمسح كذلك

ولعل حكمة مشروعية ذلك التيمم مع قيام احد مقتضياته ان سنة الله في شرائعه جرت بان يسهل على عباده كل ما لا يستطيعونه وكان احق انواع التيسير والتسهيل ان يسقط ما فيه حرج الى بدل لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم باهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولا يألفوا ترك الطهارات والى هذه النعمة اى نعمة التيسير والتسهيل والتخفيف اشار الله تعالى بقوله (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) اى ما يريد الله بمشروعية التيمم لكم ليجعل عليكم من حرج اى ضيق فلهذا سهل لكم واباح لكم التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم اي بالتراب على معنى انه يرفع ماقام بكم من الحدث المانع من الصلاة لا على معنى انه يزيل النجاسة لان الحدث ليس نجاسة بلا خلاف وليتم اي بذلك نعمته عليكم بالتخفيف ورفع الحرج والضيق عنكم لعلكم تشكرون هذه النعمة بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه

سوره | آية

(وقال جل شأنه فى بيان اشتراط طهارة الخبث فى المكان)

وَعَهِدْنَا الى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ — البقرة ١٢٥

﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب طهارة المساجد وهي محال السجود فى الصلاة من الاخباث والنجاسات وذلك لما أمر الله به نبيه ابراهيم عليه السلام وابنه اسمعيل عليه السلام من تطهير بيته وهو الكعبة للطائفين وهم الذين يدورون حوله والعاكفين وهم المقيمون بمكة والركع السجود وهم المصلون وخص هذين الركنين لانهما أشرف اركان الصلاة ففي الآية أمر بتطهير المساجد للمصلين وفى ذلك من اشتراط طهارة المكان مالايخفى

(وقال تبارك اسمه فى بيان اشتراط استقبال القبلة)

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ — البقرة ١٤٤

﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان القبلة التى حول الله اليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهي الكعبة بعد ان كان يتولى قبلة غيرها وهى بيت المقدس الذى لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبله ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ثم ألهم أن سيولى الكعبة فكان يدعو الله ان يعجل بما ألهمه وينظر الى السماء ويقلب وجهه فيها فأنزل الله عليه (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى اى مكان وجدتم من بر وبحر وفي اي جهة من جهات الارض شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا فولوا وجوهكم شطره اى نحو البيت وجهته وهذا يقضى بايجاب استقبال الكعبة في كل صلاة فرضا كانت او نفلا في كل مكان حضرا او سفرا فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يستقبل الكعبة وصارت قبلته فى الصلاة

سوره	آية

﴿ ومن الشروط المتقدمة للصلاة ستر العورة ﴾

وذلك لما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي رب العالمين اذ اى شخص عنده ادنى مسكة من العقل يرى من اقبح القبائح وافظع المنكرات ان يقف بين يدى مخلوق مثله مكشوف العورة بادي البشرة فكيف برب الارباب خالق الارض والسموات الذى خلقه وصوره في احسن صورة ركبه فضلا عما في كشف العورة من الاخلال بما تقتضيه الطبيعة البشرية والانسلاخ عن احكام الانسانية فان ستر العورة هو ذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوانات وهو احسن حالاته والله بسر شرائعه عليم

وأما النية فلأن الشخص اذا لم يقصد فعله المتلبس به ولم يتوجه به الى شيء مخصوص فأى معنى لهذا العمل واى فائدة فيه ولذا جعلت النية شرطاً في الصلاة والله اعلم

﴿ صلاة الجمعة والجماعة ﴾

اعلم ان لله تعالى على عباده نعما لاتعد ومننا لايحصيها احد فمن ذلك انه علم ان اهل البلد الواحد يحتاجون الى بعضهم احتياج بعض اجزاء الجسم الى البعض الآخر منه لان منهم الغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف والكل محتاج الى الآخر فيجتمعون في الصلاة لتتحد كلمتهم وتتوثق عرى المودة والمحبة فيما بينهم ويتعاونون على ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير ويطلع الغني على شؤن الفقير فيتصدق عليه ويحسن اليه ويسترشد الجاهل من العالم في جميع اموره الدينية والدنيوية ويستعين الضعيف بالقوي في قضاء مهامه فلذلك انصرفت العناية التشريعية الى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها وتغليظ النهى عن تركها فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف الى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم)

ثم لما كان في شهود الجماعة حرج للضعيف والسقيم وذي الحاجة اقتضت الحكمة ان يرخص لهم فى تركها فمن انواع الحرج ليلة ذات برد ومطر وحاجة يعسر التربص بها كالعشاء اذا حضر فان النفس ربما تشتغل به وتتشوف اليه فى الصلاة فيضيع المقصود منها ومنها الخوف والمرض . وأوكد هذه الجماعات جماعة الجمعة فانها لا تصح الا فى جماعة وذلك ليخطبهم امامهم فيها ويبين لهم معالم دينهم ويرشدهم الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة احوالهم

وانما كانت الصلاة فيهذا اليوم ركعتين ولم تكن اربعا كبقية الايام لان كل صلاة تجمع الاقاصي والادانى فانها شفع واحد لئلا تثقل عليهم وفيهم الضعيف والسقيم وذو الحاجة

آية	سورة	
		وكانت القراءة فيها جهرا ليكون امكن لتدبرهم في القرآن فيعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه ويقفوا عند حدوده وما سنه من الاحكام والشرائع
		(وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته في هذا اليوم فقال)
٩	الجمعة	يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ١٠ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون

﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى الحث على الاهتمام بأمر الصلاة اذا نودي اليها في يوم الجمعة وأذن لها وهذا هو المراد بالسعي في قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أي اقصدوا واهتموا في سيركم الى ذكر الله يعني الصلاة وليس المراد بالسعي المشي السريع لانه منهي عنه كما ترشد الى تحريم البيع والشراء عند ذلك النداء وهو الاذان الثاني الذى كان يفعل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر مبينا جل شأنه أن تركهما خير من فعلهما فقال (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي تركـكم البيع والشراء واقبالكم الي الصلاة خير لكم ان كنتم من اهل العلم فان ذلك لا يخفي عليكم أنه خير لكم من مصالحكم الدنيوية

هذا ولما حجر عليهم جل شأنه في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار والتفرق في الارض والابتغاء من فضل الله فقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا أديتم الصلاة وفرغتم منها فانتشروا وتفرقوا في الارض للتجارة فيما تحتاجون اليه في امر معاشكم واطلبوا من فضل الله ورزقه ثم قال جل شأنه (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) أى واذكروه كثيراً بالشكر على ماهداكم اليه من الخير الاخروي والدنيوى وبكل ما يقربكم اليه من الاذكار كالحمد والتسبيح والتمجيد والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا ذكره على الصلاة

﴿ صلاة القصر ﴾

اعلم ان الله جلت قدرته لرحمته بعباده ورأفته بهم قد خفف المؤنة عليهم في اداء الصلاة بقصر بعضها على عدد مخصوص من الركعات في حالة ما اذا كان الانسان مسافرا لان

سوره | آية

السفر مظنة تحمل آلام شديدة ومشقات عظيمة تقضي بالتفاوت والتساهل فخفف الله عليه
وحط عنه من عدد الركعات فيما يعوزه ان يحط منه لكثرة ركعاته وهو الصلوات الرباعية
التي هي الظهر والعصر والعشاء أما الثنائية كالصبح والثلاثية كالمغرب فلا قصر فيهما كما
وردت بذلك السنة

(وقد بين الله تعالى حكم هذه الصلاة والزمن الذي تكون فيه بقوله)

النساء ١٠٠ وَاذَا ضَرَبْتُمْ في الأَرْضِ فَلَيْسَ عليكُمْ جُنَاحٌ انْ تَقْصُرُوا منَ الصَّلاَةِ
إِنْ خِفتمْ أَنْ يَفتِنَكُمُ الذينَ كَفَرُوا إِنَّ الكافِرِينَ كَانوا لَكُمْ عَدُواً مُبِيناً

﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان حكم الصلاة فى السفر وهو انها تقصر مع عدم نفي الحرج والضيق فى ذلك اخذاً من قوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) اى واذا سافرتم فى الارض ولا مفهوم للشرط فى قوله تعالى (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) اى يغتالوكم ويقتلوكم في الصلاة لانه صلي الله عليه وسلم قصر في السفر مع الامن وتواتر عنه ذلك فصار القصر مع الخوف ثابتاً بالكتاب والقصر مع الامن ثابتا بالسنة ومفهوم الشرط لا يقوي على معارضة ما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم

وأدنى مدة السفر التي تقصر فيها الصلاة مسيرة ثلاثة ايام بلياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد فى البر وجرى السفينة والريح معتدلة في البحر ويعتبر فى الجبل كون هذه المسافة بالسير الوسط ايضاً

﴿ صلاة الخوف ﴾

هى الصلاة التى تكون وقت اشتباك القتال مع العدو

(وقد بين جل شأنه كيفيتها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولمن بعده من المؤمنين بقوله)

النساء ١٠١ وإِذَا كنتَ فيهِمْ فأَقمتَ لهمُ الصلاةَ فلتقمْ طائفةٌ منهمْ معكَ وَليأخذُوا
أَسلحتهمْ فاذَا سجدُوا فليكونوا منْ وَرَائكمْ وَلتأتِ طائفة أُخرَى لم يصلوا
فَليُصلوُا معَكَ وَليأخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسلحتهمْ وَدَّ الذينَ كَفَرُوا لو تغفلونَ

عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

سورة آية

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة وبيان معناها ﴾

الغرض منها تعليم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الائمة اذ هم نوابه عنه قولهم بما كان يقوم به صلاة الخوف فبين انه اذا كان فيهم والحرب قائمة وحان وقت الصلاة واراد ان يصلي بهم قسم الجيش الى قسمين قسم يكون معه فيصلي بهم مع اصطحابهم لما معهم من الاسلحة ليكون ذلك اقطع لرجاء العدو من الغرة بهم وامكان الفرصة فيهم فاذا اتم معهم ركعة انصرفوا ليقفوا امام العدو بدل الطائفة الاخرى اى القسم الثاني الذي هو امام العدو ليأتوا فيصلوا مع الامام الركعة الثانية مع كمال تيقظهم وتمام احترازهم باخذهم اسلحتهم معهم لان العدو يود لو ينال منهم غرة فيحمل عليهم حملة واحدة تكون فيها البلية الكبرى عليهم ومحل ذلك اذا لم يثقل عليهم حملها وصعب عليهم استصحابها بسبب مرض او مطر فاذا ثقل ذلك عليهم فقد رخص الشارع في عدم حملها واخذها وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم) وقد اشار الله سبحانه وتعالى الى علة الامر باخذ الحذر بقوله (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) اى ان الله اعد لهم عذاب المغلوبية لكم ونصرتكم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا مباشرة الاسباب كي يعذبهم الله بايديكم وما اخذ من ظاهر الآية الكريمة هو احد الكيفيات التي وردت السنة المطهرة بها وهناك كيفيات اخرى وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزئة من فعل واحدة منها فقد فعل ما امر به اعرضنا عن ذكرها لبيانها في الاصل ولاغناء ما هنا عنها

﴿ صلاة الجنازة ﴾

قد فرضت الشريعة الاسلامية فرض كفاية وهو ما اذا قام به البعض سقط عن الباقين ان يصلى على من مات من المسلمين صلاة مخصوصة ليست بذات ركوع ولا سجود تسمى صلاة الجنازة

وصفتها ان يقوم الامام (ان كان) بحيث يكون الميت بينه وبين القبلة ويصف الناس خلفه ويكبر اربع تكبيرات يدعو فيها للميت ثم يسلم ومن السنة قراءة فاتحة الكتاب لانها خير الادعية واجمعها والمنفرد كالامام في ذلك

سورة	آية

﴿ صلاة العيدين ﴾

هي واجبة لقوله تعالى (فصل لربك وانحر) اذ المراد بالصلاة المأمور بها صلاة العيد ولقوله تعالى (ولتكبروا الله على ما هداكم) اذ المراد بالتكبير صلاة العيد على احد التأويلات في ذلك والامر للوجوب

وهي ركعتان يفتتحهما المصلي بتكبيرة الاحرام ثم يكبر بعد ثلاثا يرفع يديه في كل مرة ثم يقرء فاتحة الكتاب وسورة جهرا ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ثم يقرأ الفاتحة وسورة ثم يكبر ثلاثا كذلك ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ويتشهد ويسلم

النوع الثاني من انواع العبادات

الصوم

عرفه الفقهاء بانه الامساك عن الاكل والشرب وملامسة الرجل امرأته وكل مفطر من الفجر الى الغروب بنية خالصة لله عز وجل

واعلم ان هذا الامساك ليس امرا مقصودا لذاته وانما المقصود أثره وهو كف النفس عن الاسترسال في شهواتها التي زينها الله لها وامرها مع ذلك بمجاهدتها بما منحها من سلاح الصبر والتقوي بمصداق قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ولا يتحقق ذلك الأثر الا بكف اللسان عن الهذيان والفحش والغيبة والنميمة والكذب والمراء والخصومة والزامه السكوت او شغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن . وكف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذا يقول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) . وكف البصر عن النظر الى كل مايذم ويكره والى كل مايشغل القلب عن ذكر الله تعالى ولذا يقول صلي الله عليه وسلم (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته في قلبه) . وكف بقية الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن الآثام وارتكاب المحرمات

والى ان المقصود من الصوم ماذكر لامجرد منع النفس عن الاكل والشرب والوقاع وغيرها من المفطرات يشير الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم

سوره	آية	

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أي تجعلون بينكم وبين جميع المعاصى والشهوات والمنكرات بسبب الصوم وقاية ولعل سر ذلك والله اعلم ان الصائم قد ترك لله تعالى الذ الاشياء اليه واحبها لديه مع كونه في اشد الأماكن خفية وبعده عن أعين الرائين وعلمه بأنه جل شأنه مطلع عليه لايخفى عليه شيء من أموره خفى أو ظهر فاذا حدثته نفسه بتعاطي شيء من فضول الطعام أو الشراب راقب ان عليه رقيباً مهيمناً قريباً يعلم ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره ويبصر دبيب النمل فى الليلة الظلماء ويسمع الهمس وما يتحدث به في البيوت المغلقة ابوابها فعند ذلك يخشع قلبه وتستكين جوارحه وتتمثل عظمة الله تعالى فى قلبه خصوصا وان هذه المشتهيات تمر عليه فى أغلب آوناته وكلما تمر عليه تجدد المراقبة بالكيفية المتقدمة فاذا داوم على مراقبة الله جل شأنه بهذه الكيفية طول شهر رمضان ثلاثين يوماً وهو زمن ليس بالقليل تربت فيه ملكة المراقبة فلايصدر منه قبيح ولايقع منه منكر وكان همه فى ان لايراه الله حيث نهاه وبذلك تتكفف النفس واللسان والسمع والبصر واليد والرجل وسائر الجوارح التي تتوقع منها الخطيئة عن المخالفة والمعصية وأىّ عبادة يكون هذا بعض نتائجها وفوائدها ولاتكون من اشرف العبادات واكملها

ولذا يوصف صاحبها بأحسن الاخلاق وأجلها واكملها - من الامانة حيث تجد الصائم وهو في خلواته واحتجابه عن أعين الناس شديد الحرص على حفظ ماأوتمن عليه من هذه العبادة السرية التى ليس فيها عمل يشاهد - ومن المروءة حيث تجد الصائم وهو في أشد الامكنة خفية وابعدها عن الخلق رؤية يحافظ على هذه العبادة السرية ومن كان كذلك فلاشك انه كامل المروءة عالي الهمة لان المروءة ليست شيئاً سوى المحافظة على الاحوال التى تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها — ومن العفة التي هي اخص صفات الكمال للانسان وذلك بضبط الصائم نفسه عن رغباتها الشهوانية ولذتها الدنية - ومن الشجاعة التى هي عماد الفضائل وذلك بجهاد الصائم نفسه وشهواته ذلك الجهاد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا اكبر حيث قال (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) يريد جهاد النفس بكفها عن كل ماتشتهيه ومنها عما تبتغيه الى غير ذلك من الاخلاق الجليلة والصفات الحميدة التى تنشأ من المراقبة لجانب الحق جل وعلا وناهيك بما يقوم به الصائم من الشفقة والرحمة بالمساكين فانه عند مايحس بألم الجوع يتصور حالة الفقير المحزنة فيرق قلبه اليه ويعطف بالتصدق عليه فينال ذلك ماعند الله من حسن الجزاء

وللصوم غير ماذكر من الفوائد اعرضنا عنه خوف الاطالة ومن اراد الزيادة فعليه بالاصل والله الموفق

سورة | آية | (ولما اشتمل عليه الصوم من الفوائد والمنافع وما يكسبه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة شرعه الله تعالى وبين احكامه بقوله)

١٨٢ البقره يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون ١٨٣ أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة
من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو
خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ١٨٤ شهر رمضان الذي أنزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون ١٨٥ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة
الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ١٨٦ أحل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله
أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن
وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون

في معنى هذه الآيات الكريمة وبيان ما اشتملت عليه من الاحكام

ان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الصيام وأودع فيه من الاسرار والفوائد والمنافع ما به يكبح الانسان نفسه عن الاسترسال في شهواتها المفضية به الي الدمار والهلاك عما تجره اليه من المعاصي والمنكرات لانها وسيلة اليها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لعلكم تتقون) اي تجعلون بينكم وبين المعاصي والقبائح وقاية وحصنا بالصيام الذى كتبه وفرضه عليكم فان الصيام يقلل الشهوة ويكسر سورتها لما فيه من اضعاف القوة الدموية واذلال

سورة | آية

النفس وهما منشا الشهوة والمحركان لها كما قال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ولانه قد تقدم ان الصائم بمراقبته جانب الله سبحانه وتعالى حتى في خلواته وجميع اعماله بل في كل حركاته وسكناته تتمثل عظمة الله تعالى في قلبه ويعظم خوفه منه فيحجم عن القبيح ويبتعد عن المنكر وترتدع نفسه عن الشهوات وتعاف عما كانت تصر عليه من المنكرات ويرقب لله امرا فيمتثله أو نهيا فيجتنبه

وقد بين جل شأنه ان الصوم لمكانته في الدين وعلو درجته بما اشتمل عليه من تزكيةالنفس وطهارتها وكسر الشهوة وايقافها عند حد الاعتدال لم يجعله خاصا بهذهالامه المحمدية بل كانت مشروعيته عامة لهذه الامة وسائر الامم من قبلها واليه الاشارة بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) اى ليكون لكم فيهم اسوة ولتجتهدوا في ادائه أكمل مما كان يفعله اولئك . ولرحمته بخلقه ورأفته بهم لم يجعله جميع ايام العمر لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل جعله في كل سنة اياما معدودات اي قلائل وهى شهر رمضان على ماسيأتي بيانه ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من الرأفه والرحمة بل تعطف وجعله قاصرا على من كان مقيماً في بلده صحيحا في بدنه اما من كان مريضا مرضا يضره معه الصوم ويعسر عليه فيه أو مسافراً سفراً يجيز له قصر الصلاة فرخص له الفطر في كلتا الحالتين وعوضه بدل ذلك أن يصوم عده ايام المرض أو السفر من ايام أخر وهي التي يكون فيها صحيحا مقيما وهذا هو الذي افاده الله تعالى بقوله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر)

بقي حكم الذين يحتملون الصوم مع المشقة الزائدة كالملاحين والمزارعين وارباب الاعمال الشاقة فمثل هؤلاء يفطرون ويطعم الواحدمنهم مسكينا قدر مايأكله في اليوم عن كل يوم ومن أطعم اكثر من ذلك فهو خير له وهذا ماافاده الله تعالى بقوله(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له) أي وعلى الذين يحتملونه بمشقة زائدة ان يفطروا ويتصدق كل واحد منهم بفدية وهي طعام مسكين ومن تصدق باكثر من ذلك بأن اطعم اثنين أو ثلاثه أو اكثر فهو خير له وتفسير الاطاقة بهذا المعنى هو مايقتضيه نص اللغة

فقد تبين ان الصائم له ثلاث حالات الاولى ان يكون صحيحا مقيما وهذا يجب عليه الصوم لامحالة الثانية ان يكون مريضا أومسافرا وهذا يفطر وعليه بدل ما افطره من ايام رمضان عدة من ايام أخر في غيره الثالثة انيحتمل الصوم بمشقة وهذا مخير بين ان يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا او يصوم وهو افضل لقوله جل شأنه (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون)

سوره	آية	

وبعد ان بين جل شأنه انه فرض علينا الصيام وانه ايام معدودات اخذ يبين تلك الايام المعدودات فقال هي (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وفي وصف الشهر بأنه الذى انزل فيه القرآن لهداية الناس وارشادهم الي امر دينهم ودنياهم وجميع مصالحهم تنويها بهذا الشهر من الافضلية وكمال المزية وبيان لحكمة تخصيصه بالصيام ثم كر بعد ذلك راجعاً الى بيان بقية احكام الصوم فقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن شاهد منكم الشهر ونظره فليصمه · ولما كان عموم ذلك يستلزم ان المريض والمسافر كليهما يصوم لانهما ممن شاهد الشهر ونظره مع سبق الترخيص لهما بالفطر بين جل شأنه ان ذلك الحكم غير شامل لهما بقوله (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من ايام اخر) وعليه فلا تكرار بين هذا وما سبق وانما رخص لهما لان في صومهما فى حالة المرض أو السفر مشقة وعسرا والله لايريدهما بنا كما قال (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر)

وقد اشار جل شأنه الى علة وجوب الصوم عند مشاهدة الشهر والترخيص للمريض والمسافر بالفطر والقضاء في وقت آخر وارادة التيسير والتسهيل بقوله (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) أي اوجب الصوم عليكم لتكملوا عدة الشهر ورخص لكم في المرض والسفر بالفطر لتكبروه وتعظموه وتثنوا عليه بسبب هدايته اياكم ببيان احكام دينكم وإرادته بكم اليسر والتسهيل لعلكم تشكرون نعمته عليكم

ولما امر جل شأنه بصوم الشهر و راعاه تكميل عدته اداء وقضاء وحث على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بقوله { واذا سألك عبادي عني فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} الدال على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب دعاءهم مجاز لهم على اعمالهم تأكيداً للصوم وحثا عليه او المراد بالدعاء العبادة وباجابته قبوله فكأنه جل شأنه يقول واذا عبدونى على النحو المتقدم وامتثلوا أمرى واجابوا دعوتى لهم فانى اقبل عبادتهم وعليه فيكون ذكر الآية وسط احكام الصوم بينا ظاهرا والله اعلم ثم رجع الى بيان بقية احكام الصوم فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل) فبين ان الصائم بعد الافطار له ان يأكل ويشرب ويرفث أى يلامس اهله وقد كان المسلمون في بدء الاسلام يختانون انفسهم اى ينقصون من لذائذها وشهواتها بترك الاكل والشرب والملامسة فتاب الله عليهم على معنى أنه عفا عنهم ورخص لهم ذلك وأباحه لهم حتي يظهر الخيط الابيض

سورة	آية

من الخيط الاسود من الفجر من الليل فان ظهر ذلك الخيط امتنع عن كل شيء وابتدأ في الصيام ولا يزال كذلك الى دخول الليل بغروب الشمس فان غربت حل له ما كان قد حرم عليه وهكذا

وبعد ان اتم الله احكام الصوم بين لنا حكم الاعتكاف في المساجد وان ملامسة الرجل لامرأته فيه سواء كان في الليل او في النهار تبطله فقال (ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك) اى الاحكام التي ذكرت (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) فضلا عن ان تتعدوها (كذلك) اى مثل هذا التبيين الواقع في احكام الصوم (يبين الله آياته) الدالة على سائر الاحكام التى شرعها الله (للناس لعلهم يتقون) مخالفة اوامره ونواهيه والله اعلم

فضل الصوم

اعلم ان الصوم لمكانته في الدين ونفعه في المسلمين بما اشتمل عليه من الثمار اليانعة والفوائد النافعة مما علمت بعضه قد رغب فيه الشارع وبالغ في الحث عليه وأكثر من الوسائل التي توصل اليه فمن ذلك ان جعله كفارة لكثير من الذنوب فقال في كفارة القتل (ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الي اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الي اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما)

وقال في كفارة الايمان لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين االله لكم آياته لعلكم تشكرون)

وقال في كفارة الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله)

سوره	آية

النوع الثالث من انواع العبادات

الزكاة

اعلم ان مطمح جميع الشرائع الالهية بما تسنه من الاحكام والشرائع انما هو تهذيب النفس بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها وزوال مابها من الاعتلال ووقوفها عند حد الاعتدال لان النفوس اذا وقفت عند حد الاعتدال ووصلت من التهذيب الى درجة الكمال تذللت الطباع وأمن التعدى من الاشرار وذوى الاطماع وتألفت القلوب وأمنت السبل ونمت التجارات وتحسنت الاحوال لذلك ترى الله جلت قدرته تارة ينيط الفلاح بزكاة النفس وطهارتها والخيبة والخذلان بمتابعتها في اهوائها فيقول (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) واخرى يجعل الجنة مأوى لمن اخذها بالقهر لها وبذل جهده فى جهادها بمنعها عن شهواتها الحيوانية وصرف اهوائها عن اللذات الدنية فيقول (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)

وحيث كان اكبر تلك الشهوات التى يجب قمعها واعظم الاشياء المحبوبة لديها هو المال الذى لا يعادله شيء عندها بمصداق قوله تعالى (وتحبون المال حباً جماً) اى كثيراً جاء الشارع الحكيم الخبير بامراض النفوس وعلاجها (بالزكاة) ليطهر بها النفوس ويزيل ما بها من علة البخل والشح المشار الى نجاح وفلاح من وقي نفسه منهما وتباعد عنها بقوله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

وللزكاة غير تجريد النفس من رذيلة البخل وتحليتها بصفة الجود والسخاء من الفوائد والمنافع ما به عمار الكون ونظام الهيئة الاجتماعية وذلك لان الله جلت قدرته لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة وسر غريب بل خلق منهم القوى والضعيف والغنى والفقير والكل تطالبه الحياة بضرورياتها ولوازمها فيضطر الفقير القوى اذا لم يكن صرف للزكاة ان يأخذ جميع حاجاته من الضعيف الغنى او القوى الغنى بالسؤال ان امكن والا قاتل المطلوب منه فيقتل أو يقتل فلا يتم مع ذلك بقاء العالم ولا يحفظ نظام الكون ولذا ترى الفوضويين منتشرين فى جميع انحاء العالم وخصوصاً اوروبا وامريكا يقتلون ملوكهم ويذبحون اغنياءهم ولا سبب لذلك الا عدم وجود صارف للزكاة في تلك البلاد فيستغنون عما هم فيه من الفاقة ولو انهم وجدوا مايدفع حاجتهم لما لجأوا الى مثل هذه الامور الوحشية

ومن فوائدها ايضاً أنها داعية الشفقة والرحمة بالفقراء والمساكين والضعفاء المعوزين بسد عوزهم وتنفيس كربتهم وقضاء دينهم وادخال السرور عليهم الذى هو افضل

سوره	آية

الاعمال بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم عند ماسئل اى الناس احب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يارسول الله فاى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وماسرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه الحديث

ومنها ان الله سبحانه وتعالى اراد بفائق حكمته وعظيم قدرته ان يجمع العالم الاسلامي اجمع ويربط قلوب المسلمين كلهم بعضها ببعض ويكون الكل كالعائلة الواحدة والاغنياء منهم بمثابة رؤس لتلك العائلة فيحسنون على فقيرهم ويوسعون على المضيق عليه منهم حتى يكفوهم تكففهم الناس ويمنعوهم من ذل السؤال وارشدهم كيف يجتمعون ويتحدون ويتعاونون ويتآلفون حتي بذلك يجنون ثمر الحياة الدنيا فشرع لهم الزكاة ليكون من نتائجها الحسنة هذا الارتباط والاتحاد والتعاون وللزكاة غير ماذكر من الفوائد والمنافع ماستأتى الآيات القرآنية على بعض منها كما سيتبين لك والله ولى التوفيق .

﴿ قال الله تعالى حثا على الزكاة وبيانا لبعض مايترتب عليها من الفوائد والمنافع ﴾

وَمَا آتَيتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ — الروم ٣٩

﴿ بيان معنى هذه الآية الكريمة والغرض المقصود منها ﴾

الغرض منها ان ما يخرجه المزكى من ماله ويعطيه لمستحقيه من الفقراء والمساكين وغيرهم من المستحقين ويقصد بذلك وجه الله تعالى شكرا على ما خوله من نعمه الوافرة سيجزيه الله سبحانه وتعالي عليه الجزاء الاوفي ويضاعف له ثوابه وماله ببركة الزكاة وذلك لان من عرف حق الله تعالى فى ماله واخرجه ابتغاء مرضاته وامتثالا لما امر به وصرفه فى مصارفه الشرعية التى بينها له الشرع فقد شكر الله جل شأنه على ما منحه من كرامته وخوله المزيد من نعمته ومن شكر الله زاده وجعل التقوى زاده بمصداق (ولئن شكرتم لازيدنكم) وهذه المضاعفة فى الثواب والمال ببركة الزكاة هي المشار لها بقوله تعالى فى آخر هذه الآية الكريمة (فاولئك هم المضعفون)

﴿ وقال جل ثناؤه فى بيان ان الزكاة من الاسباب المفضية الى رحمة الله تعالى وانها من اخص اوصاف المؤمنين ﴾

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ — التوبة ٧٢
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ
أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

سوره	آية	

﴿ ما ترشد اليه هذ الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان حال المؤمنين والمؤمنات بأنهم هم الذين يتولى بعضهم بعضاً اي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الحديث الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه) وأنهم هم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم الذين يقيمون الصلاة اى يؤدونها كاملة ويؤتون الزكاة اى يحسنون الى خلقه ويطيعون الله ورسوله فيما امر ويتركون ما عنه زجر وان من يكون كذلك فهو جدير بان يغمره الله برحمته ويمنحه المزيد من نعمته ولذا يقول جل شأنه (أولئك)اى من اتصف بهذه الصفات (سيرحمهم الله)

وانما استحقوا الرحمة لاتصافهم بهذه الاوصاف لانهم اذا تولى بعضهم بعضاً وتناصروا وتعاضدوا اتحدت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وسعى البعض للبعض فى جلب الخير ومنع الشر والضير ولا جرم ان ذلك جالب للرحمة مستتبع للنعمة ولانهم لو امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر عم الصلاح العامة والخاصة فتأمن السبل وتنمو التجارات ويؤمن التعدى من الاشرار وذوى الاطماع فتعمر البلاد وترتاح العباد ولانهم لو اقاموا الصلاة وادوها فى اوقاتها مع الخشوع والتعظيم والحياء والمذلة والانكسار لتمرنت نفوسهم على مراقبة الله تعالى فى اغلب آونتهم وانتهوا عن الفحشاء والمنكر ولانهم لو آتوا الزكاة وقهروا النفس باخراج احب الاشياء اليها وهو المال وآثروا رضا الله تعالى على ما تشتهيه نفوسهم وصرفوها في مصارفها التي حددها الشرع رضى الفقير وأمن الغنى على ماله ونفسه فتقوى جامعتهم وتتاكد محبتهم وتكمل سعادتهم ولانهم لو اطاعوا الله ورسوله وامتثلوا كل ما امرهم به واجتنبوا كل ما نهاهم عنه فازوا بما اعده لهم فى الآخرة من النعيم المقيم — ولا جرم ان الاتصاف بكل هذه الاوصاف مع ما يترتب عليها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة جالب للرحمة مستتبع للنعمة

﴿ فضل الزكاة ﴾

(قال الله تعالى فى بيان ذلك)

سوره	آية	
البقره	٢٧٠	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

سورة	آية

﴿ما تشير اليه هذه الآية الكريمة﴾

تشير الى بيان فضل الزكاه والصدقات وانها حسنة على كل حال سواء اظهرها فاعلها او اخفاها الا ان الاسرار بها وفعلها فى خفية افضل من اظهارها لانه ابعد من الرياء الا ان يترتب على الاظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون افضل من هذه الحيثية والي ان الاسرار افضل يشير الله تعالي بقوله (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) اى من ايتائها للفقراء مع الاظهار وبعد ان اشار جل شانه الى بيان فضل الزكاة ولا سيما اذا كانت سرا وانه يحصل لفاعلها الخير بما يعطاه من رفع الدرجات بين انها تكفر السيئات فقال (ويكفر عنكم من سيئاتكم) اى ببذل الصدقات وقوله تعالى (والله بما تعلمون خبير) اى لا يخفى عليه منه شيء فيه ترغيب فى الاسرار والله اعلم

وقد ورد فى هذا الباب احاديث كثيرة سنأتى على بعض منها لما فيه من زيادة بيان فضلها قال صلى الله عليه وسلم (ان الصدقة لتطفيء غضب الرب) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الصدقة لتطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار) وقال عليه الصلاة والسلام (لايجتمع الايمان والشح فى قلب عبد ابدا) وفي هذا القدر كفاية والله ولى التوفيق

﴿جزاء مانع الزكاة﴾

(قال الله تعالى في بيان ذلك)

التوبة ٣٥ وَالذِينَ يَكْنِزُون الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا في سبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اليِمٍ ٣٦ يوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ

﴿ما تفيده هاتان الآيتان الكريمتان﴾

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان بيان ماأعده الله تعالى من أليم العذاب وشديد العقاب للذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله بأن لا يخرجوا زكاتها ولبيان وجه العبرة وافادة شدة التذكير والانذار بين جل شأنه ان هذا العذاب الاليم انما هو بنفس هذه الاموال التى ادخروها ومنعوا حق الله فيها فقال (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ولبيان ان سبب هذا البلاء العظيم والعذاب الاليم انما هي نفس الانسان حيث سولت له البخل وحسنت له الاكتناز والادخار أشار

سوره	آية	
		الله تعالى بقوله (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى هذا الذى تكوون به هو ما كنزتموه لاجل منفعة انفسكم بتسويلها لكم المنفعة فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها

﴿ أنواع الزكاة ﴾

هى زكاة النقد سواء كان ذهبا او فضة وزكاة عروض التجارة وزكاة المواشى وزكاة الزرع وزكاة الركاز

(وقد اشار الله تعالى الى وجوب الزكاة في جميع هذه الانواع بقوله)

سوره	آية	
البقرة	٢٦٦	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد

﴿ معنى الآية الكريمة وبيان وجه أخذ هذه الانواع منها ﴾

يقول الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا) اي اخرجوا الزكاة (من طيبات ما كسبتم) سواء كان نقدا او عروض تجارة او ماشية (ومما اخرجنا لكم من الارض) سواء كان حبا او تمراً او ركازا

وقد بينت السنة مقدار ما يخرج من كل نوع فبينت ان ما يخرج من النقد سواء كان ذهبا او فضة ربع العشر ففي مائتى درهم خمسة دراهم وفى عشرين دينارا نصف دينار وما زاد من كل منهما فبحسابه . وبينت ان ما يخرج في عروض التجارة اذا بلغت قيمتها من الذهب او الفضة نصابا ربع العشر أيضاً والتقويم يكون بما اشتريت به اذا كان الثمن من النقود لانه اقرب لمعرفة المالية لان الظاهر ان تشترى بقيمتها وبالغالب من النقود اذا كان الثمن من غير النقود . وبينت ان ما يخرج من المواشي ان كانت ابلا شاة فى كل خمس الى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض وهى التى دخلت في السنة الثانية — الى ست وثلاثين ففيها بنت لبون وهي التى دخلت في السنة الثالثة — الى ست واربعين ففيها حقة وهى التي دخلت فى السنة الرابعة — الى احدى وستين ففيها جذعة وهي التى دخلت فى السنة الخامسة — الي ست وسبعين ففيها بنتا لبون — الى احدى وتسعين ففيها حقتان — الي مائة وعشرين ثم تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين فيكون فى كل خمس شاة الى خمس وعشرين اى بعد المائة والعشرين ففيها بنت مخاض مع الحقتين اى ففي مائة وخمس واربعين حقتان وبنت مخاض ثم اذا زادت خمسا بأن بلغت مائة وخمسين ففيها ثلاث حقاق

ثم تستأنف الفريضة فيكون فى كل خمس شاة الى مائة وخمس وسبعين فيكون فيها ثلاث حقاق وبنت مخاض الى مائة وست وثمانين ففيها ثلاث حقاق وبنت لبون الى ست وتسعين ففيها اربع حقاق الى مائتين ثم تستأنف الفريضة دائما كما استؤنفت فى هذه الخمسين التي بعد المائة

وان كانت بقرا ففي كل ثلاثين تبيع ذو سنة أو تبيعة وفى كل اربعين مسن ذو سنتين او مسنة وفيما زاد فبحسابه والجاموس مثل البقر

وان كانت غنما ففى الاربعين شاة الى مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم فى كل مائة شاة والمعز كالضان

وليس فيما عدا هذه الاصناف الثلاثة من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير زكاة

واما زكاة الزرع فبينت السنة ان كل ما تخرجه الارض لا سقى اوسقي بالسيح او بالمطر ففيه العشر وكل ما يخرج بالآلات كالدلاء ونحوها ففيه نصف العشر ولا زكاة فيما هو تابع للارض كالنخل والاشجار لانه بمنزله جزء الارض بدليل تبعيته لها فى البيع عند عدم شرط

أما الركاز فقد بينت السنة ان فيه الخمس فقد قال عليه الصلاة والسلام فى الركاز الخمس. قيل وما الركاز يارسول الله قال الذهب الذي خلقه الله تعالى فى الارض يوم خلقت

بيان من تصرف لهم الزكاة

تصرف الزكاة لثمانية أصناف من الناس وهم المذكورون فى قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) اى انما يستحق الزكاة من اصناف الخلق هؤلاء الثمانية وهم الفقراء الذين يملكون شيأ قليلا والمساكين وهم الذين لايملكون شيأ اصلا والعاملون علي الزكاة وهم الذين يبعثهم الامام او نائبه لجبايتها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الذين يرغبون للدخول فى الاسلام والمكاتبون وهم الذين يكاتبهم سيدهم على ان يدفعوا له مالا معلوما في اقساط متعددة حتى اذا وفوه عتقوا وهم الذين اشار لهم الله تعالى بقوله (وفى الرقاب) والغارمون وهم الذين عليهم دين فيعطون منها بشرط ان يكون هذا الدين استقرض في طاعة أو مباح فان استقرض في معصية كالخمر والاسراف فلا يعطون منها شيأ مالم يتوبوا والغزاة وهم المقصودون من قوله تعالى (وفى سبيل الله) فيصرف لهم شيء من الزكاة ولو كانوا اغنياء اعانة لهم وتنشيطا لهم على الغزو وابن السبيل وهو المسافر الذي انقطع عن ماله فيعطى منها بقدر الحاجه

سوره	آية	

﴿ زكاة الفطر ﴾

هي نصف صاع من بر او دقيق او زبيب او صاع من تمر او شعير وهو ثمانية ارطال وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام فى خطبة له (أدّوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعا من تمر او صاعا من شعير) والربع المصري يكفي عن ثلاثة انفس ويخرجها من ملك نصابا من أي مال كان عن نفسه واولاده الصغار وعبيده للخدمة ولا يخرجها عن زوجته واولاده الكبار وتصرف للاصناف الثمانية المتقدمة لانها كبقية انواع الزكاة

﴿ النوع الرابع من انواع العبادات ﴾

الحج

الحج هو زيارة امكنة مخصوصة في زمن مخصوص بأقوال وافعال مخصوصة وله من الاسرار والحكم ما يعجز عن حصرها حكماء العرب والعجم فمنها ان يجتمع جميع المسلمين من سائر اقطار العالم فى مكان واحد تقوم فيه علماؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم يعلمون الجاهل ويرشدون المسترشد ويوقفونهم على احوال الامم الشاسعة التي لا يتوصل الواحد منهم اليها مدى عمره ويطلع بعضهم بعضا على ما به تكون حياتهم المادية والقومية من الصنائع والمعدات للدود وغيرها مما سبقهم فيه غيرهم ويطلع بعضهم علي شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر ويتصافحون ويتوادون على اختلاف اجناسهم وتباين طبقاتهم فيرجع الواحد منهم الى بلده وحقيبته ملأى من اخبار وسير وفوائد ومنافع لا تكاد تحصى ووقوف على احوال الامم الاخرى ليبارسهم ويجاريهم فيما تكون فيه سعادته وسعادة قومه الحقيقية فشرع الله لهم الحج لهذه الغاية

ويا حبذا لو ادرك ذلك الذين يذهبون من المسلمين الى اوروبا فى كل سنة او الى المعارض التى تقام فيها ويصرفون فى سبيل ذلك من الاموال الطائلة ما لو صرفوا جزأ منه فى اداء هذه الفريضة لكان ذلك ادعى الى عزتهم ومنعتهم وقوتهم على انهم فى اداء هذه الفريضة يرون معرضا اكبر من معارض أوروبا لانه يجتمع فيه كل اصناف العالم من عرب وترك وفرس ومغاربه وهنود ومصريين وسوريين وبربر وسودان وغير ذلك من امم البشر كلهم علي دين واحد وغرض واحد وقلما يجتمع في معارض اوروبا لا الاوروبي او من هو على شاكلته ويا ليتهم يذهبون الى تلك البلاد والمعارض ليرجعوا

آية	سورة	

بشيء مما سبقهم فيه أولئك الاقوام من الصنائع والمعارف فيعلموه لاهليهم وقومهم حتى ينتفعوا وينفعوا بل انما يذهبون ليقضوا شهوة لنفس او لبانة للشيطان فاللهم ارشد المسلمين الى مافيه صلاح حالهم واستقامة احوالهم ووفقهم الى ما فيه خيرهم وفلاحهم انك خير مسؤول واكرم مؤمل واعظم مرجو

ولما في الحج من الفوائد والمنافع يشير الله تعالى بقوله (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) فقد ذكر جل شانه ان في الحج منافع يشهدها الحاج اقلها تسهيل وسائط التآلف والتوافق بين الممالك العظيمة ووجود الاتحاد والائتلاف بين الامم الاسلامية الكبيرة وناهيك بما يترتب على ذلك من الخير العميم لعموم المسلمين ومنها ان به كمال العبودية ونهاية الاسترقاق لله تعالى بما اشتمل عليه من الاعمال التي لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول باديء بدء كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار واستلام الحجر الاسود فان هذه الاعمال مع عدم اهتداء العقل الي الغرض المقصود منها بادئ بدء لايكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وذلك نهاية التذلل والعبودية ولا يتوهمن ان شروع الانسان فى هذه الاعمال وهو لايعلم الغاية المقصودة منها ولا الفائدة المترتبة عليها عبث وعمل مجرد عن الفائدة لان ذلك انما يصح اذا كان الآمر بتلك الاعمال غير الله تعالى اما الله جل شأنه وهو العالم بحقائق الاشياء ودقائقها وما يترتب عليها من المصلحة والمفسدة وهو الذي لا يصدر عنه فعل عبث ولا يأمر بعبث فاذا امر بامر فلا بد أن يجب علينا الامتثال له من حيث انه امر وان لم نعرف ما يترتب عليه من الفائدة لانه لابد له من فائدة تعود على الانسان وجهل الانسان بالفائدة لايستلزم عدمها فى الواقع ونفس الامر فلا يقال اذن ان الانسان شرع في عمل لافائدة فيه ولا يعرف الغاية المقصودة منه لانك قد علمت انه لابد ان يكون له فائدة وغاية مقصودة ويجب على الانسان عند شروعه في العمل ان يعتقد ذلك

وحسبك مافيه من الفوائد والمنافع التى لا تكاد توجد في غيره من سائر العبادات حيث يجتمع فيه المسلمون وأئمة الدين معظمين لشعائر الله تعالى التى يقول الله سبحانه فيها (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوي القلوب) متضرعين اليه راغبين فى عفوه راجين منه الخير وتكفير الذنوب ولا شك ان ذلك ادعى الى تمحيص ذنوبهم وتكفير خطاياهم ولانه سفر شاسع وعمل شاق لايتم الا بمجاهدة النفس وكبحها عما تشتهيه من لذة الراحة فلا جرم أن كانت مباشرته خالصاً لله تعالى مكفرة للذنوب وهادمة للخطايا . وناهيك بما فيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات فانها مدحضة للذنوب كافلة بنوال المرغوب وبالجملة

سوره	آية	
		فلو لم يكن في الحج الا انه عبادة جمعت بين الذكر والتسبيح والادعية والتذلل والخضوع وتمام العبودية وكمال الاسترقاق لله وصرف انفس الاشياء اليه واحبها لديه وهو المال ابتغاء مرضاته تعالى في سبيل الحصول عليها ومفارقة الاهل والاوطان وتكبد المشقات وتحمل المتاعب والمصاعب ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلبا لمثوبته ، رضوانه وانه يجتمع فيه المسلمون من جميع اقطار الارض يبادلون فيه انواع المودة والمحبة ويتعاضدون ويتحابون ويساعد بعضهم بعضاً ويعلم العالم منهم الجاهل لكفى في وجوه اعتباره وكمال افتخاره وكان جديراً بان يؤمه جميع المسلمين من سائر اقطار العالم من كل فج عميق رجالا وركباناً والله باسرار عباداته عليم
		(ولما اشتمل عليه الحج من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع امر الله به وبين فرضيته وشدد النكير على تاركه مع الاستطاعة والقدرة عليه وبين فضل البيت فقال)
آل عمران	٩٦	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٧ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
		﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى امور
		(الاول) بيان فضل البيت بانه اول بيت وضعه الله معهداً للطاعات والعبادات وجعله مباركا يزداد فيه الخير وتضاعف الثواب لمن قصده او استقر فيه وهدى للعالمين يهتدون به الى جهة صلاتهم وذلك الفضل العميم والخير الجسيم بما اشتمل عليه من الآيات البينات التى منها مقام ابراهيم أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بنائه ومنها ان من دخله كان آمناً فلا يقتل فيه احد بدم ولا يقطع شجره ولا ينفر صيده وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ان اول بيت وضع لناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً)
		(الثاني) بيان فرضية الحج وانه واجب على كل مسلم بالغ بشرط ان يقدر على الزاد والراحله وتكون الطريق مأمونة وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)
		(الثالث) بيان جزاء تارك الحج وقد افاد الله ذلك بقوله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) اي ومن ترك الحج فان الله غني عنه وعن عمله لانه جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع الا لمنفعتهم ومصلحتهم اما هو فهو غني لا تعود عليه طاعات عباده

سورة	آية

بأسرها بنفع ولا بادنى فائدة وعبر جل شأنه عن ترك الحج بالكفر تأكيداً لوجوبه وتشديداً على تاركه وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه وبعده من الله تعالى مايتعاظمه سامعه ويرجف له قلبه جعلنا الله ممن اتبع طاعته ولازم متابعته آمين

(وقال جل ثناؤه في الترخيص لمن حج في التجارة وفي بيان اعظم اركان الحج وهو الوقوف بعرفة وفي الحث على التلبية والتكبير عند المشعر الحرام والحث على الافاضة من المزدلفة الى منى وبيان مايعمل بعد انقضاء اعمال الحج)

البقره ١٩٧ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً

﴿ ماترشد اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى امور

(الاول) الترخيص لمن حج فى التجارة ونحوها من الاعمال التى يتوصل بها الي الرزق والاكتساب وهذا هوالمشار اليه بقوله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) اي لا اثم عليكم ولا حرج في طلب ذلك بالتجارة ونحوها فى موسم الحج وكانوا يتحرزون عن ذلك قبل نزول هذه الآية الكريمة

(الثانى) الافاضة من عرفات الى المزدلفة (اسمي مكانين) والحث على ذكر الله بالمزدلفة عند المشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة معروف وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) اي فاذا دفعتم انفسكم من عرفات الى المزدلفة فهناك اذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتكبير وصلاة المغرب مع العشاء جمعا فانها لم تصل بعرفات ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس

واستدل بالآية الكريمة على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لاتكون الا بعده ولا يتم الحج الابه

(الثالث) الحث على الافاضة من المزدلفة الى منى كما فعل سيدنا ابراهيم وهو المراد

سوره	آية	
		بالناس فى قوله (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) اى ثم بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا الى منى من حيث افاض الناس اى ابراهيم عليه السلام (الرابع) مايعمله الحاج بعد فراغه من اعمال الحج وهو ذكر الله تعالى كثيراً وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكراً)
		﴿ وقال تبارك اسمه في بيان الركن الثانى من أركان الحج وهو السعي بين الصفا والمروة ﴾
البقره	١٥٨	إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ
		﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى فرضية السعي بين الصفا والمروة لمن اراد الحج اوالعمرة والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان ووجه اخذ فرضية السعي بينهما من الآية ان الله تعالى جعلهما من شعائره اى من اعلام مناسكه ومتعبداته ولا يكونان كذلك الا اذا كان السعي بينهما فرضاً وهكذا استدل مالك والشافعى واحمد وقال ابو حنيفه انه واجب يجبر بالدم وله أدلة ليس هذا محلها وعلى كل فلا اثم على من اراد الحج او العمرة ان يطوف ويدور بهما ويسعى بينهما ومن فعل ذلك على سبيل انه طاعة لله تعالى يتقرب بها اليه فان الله شاكر له أي مثيبه على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً ثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما
		﴿وقال جل ثناؤه في بيان أشهر الحج ومحظوراته﴾
البقره	١٩٦	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ
		﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة امرين
		(الاول) بيان وقت الحج وهو ما افاده الله تعالى قوله (الحج اشهر معلومات) اى وقت عمله اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة
		(الثانى) النهى عن الرفت وهو الجماع والفسوق وهو جميع المعاصى والجدال وهو

سورة | آية

ان تخاصم صاحبك حتى تغضبه وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) وبعد ان نهي جل شأنه عن اتيان القبيح قولا وفعلا حث على فعل الجميل واخبر بانه عالم به وسيجزى عليه اوفر الجزاء يوم القيامة فقال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله)

ومن محظورات الحج غير ماذكر من الرفث والفسوق والجدال قتل الصيد فى الحرم وقد نهي الله تعالى عنه وبين مايجب على الحاج اذا فعله بقوله (ياأيها الذين امنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) . ومنها ايضاً الحلق قبل ان ينحر هديه في مكانه الذى يجب نحره فيه وقد نهى الله عنه وبين مايجب على الحاج ايضا اذا فعله لاى سبب من الاسباب التى ذكرها فقال (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك)

﴿ وقال تبارك اسمه في بيان فضل الحج بما اشتمل عليه من الفوائد والمنافع وذكر الله تعالى واطعام الفقراء والمساكين وبيان طواف الزيارة وهو احد اركان الحج وآخر اعماله ﴾

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٨ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ٢٩ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ | الحج | ٢٧

ماتشير اليه هذه الآيات الكريمة

تشير هذه الآيات الكريمة الى بيان فضل الحج وعظم مكانته عند الله تعالى وشدة رعايته له وعنايته به حيث امر نبيه ابراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت ان ينادى فى الناس ويدعوهم الى حجه ووعده بانه ان دعاهم اليه اتوا مشاة وركبانا من سائر بقاع الارض وهذا ماافاد الله تعالى بقوله (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا) اى ماشيين (وعلى كل ضامر) اى وراكبين علي كل بعير ضامر مهزول (يأتين من كل فج عميق) اى طريق بعيد وقد بين جل شأنه الحكمة التى من اجلها امر نبيه ابراهيم

سوره	آية	

عليه السلام ان ينادى الناس ليحضروا الى البيت فقال(ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات علي مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) اي ليحضروا منافع لهم وهي اعم من ان تكون دنيوية او اخروية فالاخروية هى مافيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات ورضوان الله تعالى وغير ذلك والدنيوية هي مافيه من التآلف والتعارف بين الممالك العظيمة والاختلاط والارتباط بين الامم الاسلامية الكبيرة ومايصيبون فيه من لحوم البدن والذبائح والتجارات وغيرها وليذكروا اسم الله على هداياهم وضحاياهم التي يذبحونها في ايام معلومات وهي ايام التشريق ليأكلوا منها ويطعموا البائس الذي به البؤس من شدة الفقر ثم امر جل شأنه الحجاج بعد الاتيان بمناسك الحج واعماله وخروجهم من الاحرام ان يزيلوا ماعليهم من الاوساخ والادران ويوفوا بما نذروا من اعمال البر والخير ان كانوا نذروا شيأ ثم بعد ذلك كله يطوفون بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو ركن من اركان الحج وبه تمام التحلل ونهاية اعمال الحج ويكون هذا الطواف يوم النحر فقال (ثم ليقضوا تفثهم) اى يزيلوا وسخهم (وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) والله ورسوله اعلم

وهذا آخر القسم الثاني ولله الحمد والمنة ويليه القسم الثالث فى الآداب ومكارم الاخلاق

القسم الثالث

فى

الآداب

ومكارم الاخلاق

اعلم ان من النفوس ماهو مستعد بفطرته الى الكمالات وبلوغ اعلى الدرجات ومثل هذه يكفى فى اصلاحها وتقويم مااعوج منها وزوال مابها من الاعتلال ووقوفها عند حد الاعتدال تهذيبها وتكميلها بما يبث فيها من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة . ومنها ماهو مستعد بفطرته الى الرذائل الدنية والاخلاق البهيمية ومثل هذه لايكفى في اصلاحها مجرد الترغيب والتهذيب وبث الاخلاق الفاضلة فيها لتبوّها عن التهذيب وعدم قبولها للكمالات بطريق الفطرة

سورة	آية

لذلك شرع الشارع الحكيم وهو الله جل شأنه الاحكام الشرعية حسب استعداد تلك النفوس فجعل منها مابه ترقي النفوس وتهذب الاخلاق وتكمل العقول وذلك كالعبادات والاخلاق الفاضلة كالصدق والامانة وحسن الخلق والوفاء بالعهد وانجاز الوعد وغيرها من الفضائل . ومنها مابه يقصد حفظ الهيئة الاجتماعية وحسن نظامها كالمعاملات والحدود والزواجر والعقوبات

والغرض الذي نتوخاه الان ونرمي اليه هو الامر الاول من هذين الامرين وهو مابه تهذب النفوس وتكمل العقول من الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة

ولما كان افضل الآداب آداب القرآن التى ادب الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وجعل لنا فيه الاسوة الحسنة وفيها العبرة المستحسنة كان ما نتوخى بيانه من الآداب هو مافى هذا الكتاب الكريم وماتجمل به من الآداب هذا السيد السند العظيم

﴿ تمهيد ﴾

اعلم ان ماسنذكره من الآداب الشرعية والاخلاق الفاضلة الزكية هو الذي يجب الاخذ به وبه يبلغ الانسان كماله ويصل الى مافيه سعادته فى الدنيا والآخرة سواء وافقه عليه الناس او لم يوافقوه ولا يمنعه عن المحافظة على تلك الآداب الشرعية استهزاء الناس الذين لا خلاق لهم به وعيبهم له او كون احدهم على خلاف مايتحلى به فانه اذا تأمل فى احوال كل من خالف هذه الاصول الادبية والآداب الشرعية يجدهم أشقياء تعساء وأنهم بشقائهم واختلال اعمالهم وسوء تصرفهم سبب في شقاء غيرهم ايضاً — فعلى الانسان الذى يطبع على محبة الله ويجتهد في اسعاد نفسه وغيره ورضا ربه أن يوفق بين اعماله وبين هذه الآداب الشرعية وان عارضه فى ذلك كل من حوله من العالم واليك بيان هذه الآداب مبتدأة باشرفها وهو

﴿ الادب مع الله عز وجل ﴾

وهو نوعان (الاول) ما يستعمله ذوو الذوق السليم والقلب الحكيم فى مخاطباتهم مع الله عز وجل وعند نسبتهم الاشياء اليه فمن ذلك قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين) فتراه نسب الخلق والهداية والاطعام والسقيا الى الله تعالى ونسب المرض الى نفسه حيث قال (واذا مرضت فهو يشفين) وكان مقتضى السياق ان يقول واذا أمرضني فينسب المرض الى الله تعالى كما نسب اليه غيره من الافعال مع اعتقاده بان الكل منه وفي العدول

سوره	آية	
		عن ذلك من الادب ما لا يخفى ومن ذلك ايضاً قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن عند مبعث الرسول صلي الله عليه وسلم ومنعهم من استراق السمع (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) فتراهم عند اسناد الشر بنوا الفعل للمجهول ولم يعينوا المريد له مع اعتقادهم بأن المريد له هو الله تعالى وعند اسناد الخير صرحوا بمريده فقالوا أم أراد بهم ربهم رشدا وفى ذلك أيضا من الادب ما لا يخفي

ومثل هذا النوع من الاداب فى القرآن كثير

(النوع الثاني) امتثال اوامره جل شأنه واجتناب نواهيه ومراقبته في كل عمل من اعماله بل وفي سائر حركاته وسكناته فان كان هذا العمل عمل طاعة كانت المراقبة باستحضار ذاته العلية وتمثيل عظمته تعالى فى قلبه وانبعاث الخشية والخضوع من جميع جوارحه واطمئنان نفسه للمثول بين يديه واستخلاص قلبه من جميع الشواغل الدنيوية وملاحظة انه يراه فى كل حركاته وسكناته وهو معنى الاحسان الذى ذكره صلى الله عليه وسلم فى قوله (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) وان كان العمل عمل معصية راقب ان عليه رقيبا مهيمنا قريبا يعلم ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره مطلعا عليه في جميع احواله وأعماله سواء ما خفى منها وما ظهر فعند ذلك يخشع قلبه وتسكين جوارحه ويتمثل خوف الله تعالي في قلبه فيجتنب القبيح عند العزم عليه ويحجم عن المنكر بعد الوصول اليه

ويجمع المراقبة بقسميها كلمة (التقوى) فانها اسم جامع لجميع انواع البر وكافل لصاحبه كل خير ومبعد عنه كل شر ولذا حث جل شأنه في القرآن الكريم عليها وبين ما يترتب عليها من حميد المآب وجزيل الثواب ورفيع الدرجات وعظيم الخيرات في الجنات

(فقال جل شأنه في الحث على التقوى وبيان ما يترتب عليها من الفوز العظيم والتوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب والخطايا)

سوره	آية	
الأحزاب	٧٠	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧١ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿ معنى هاتين الآيتين الكريمتين والغرض المقصود منهما ﴾

المقصود ان الله تعالى يحث عباده المؤمنين على تقواه وان يعبدوه عبادة من كأنه يراه وان يقولوا قولا سديدا اى مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم انهم ان فعلوا ذلك أثابهم عليه اجرا عظيما ومنحهم من كرمه فضلا جزيلا وخيرا عميما وذلك بان يصلح

آية	سورة	

لهم اعمالهم بأن يوفقهم للاعمال الصالحة وان يغفر لهم الذنوب الماضية وما يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منه

وبعد أن حث جل شأنه على التقوى وبين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب قال (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أى ظفر بالخير ظفرا عظيما سواء في الدنيا أوفي الآخرة

(وقال تبارك اسمه في بيان ان التقوى تكون سببا في تكفير السيئات وغفران الذنوب وتنوير البصائر حتى يمكن صاحبها ان يفرق بين الحق والباطل)

٢٩ الانفال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الاية الكريمة الى ان اتقاء مخالفة اوامر الله تعالى واجتناب مناهيه سبب في رضوان الله تعالى وجالب احسانه ولا جرم أن من رضى الله عنهم رزقهم من ثبات القلوب وتنوير البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين الحق والباطل عند الالتباس وكفر عنهم ذنوبهم بأن يمحوها عنهم بالكلية فلا يؤآخذهم عليها وغفرها بأن يسترها عن الناس وناهيك عن رزق رضوان الله ومنح المزيد من كرامته فانه يفوز بالسعادة الابدية ويعطى الفضل الجسيم الجزيل لأنه جل شأنه صاحب الفضل العظيم

(ولما في التقوي من صنوف البر وانواع الخير قال جل ذكره آمرا بها وحاثا على طلب القرب اليه بأنواع الطاعات مبينا ما يترتب على ذلك من الفلاح والسعادة)

٣٨ المائده يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى الوجوه المستجمعة لانواع الادب مع الله تعالى وهي ثلاثة (الاول) اجتناب محارمه تعالى وترك نواهيه وهذا هو المراد من قوله تعالى (ياايها الذين امنوا اتقوا الله) — (الثانى) طلب التقرب اليه بجميع انواع البر والخير والطاعات والعبادات وترك المعاصي وهذا هو المراد من قوله تعالي (وابتغوا اليه الوسيله) — (الثالث) مجاهدة النفس في سبيله تعالى وهو شرائعه التى شرعها وسنها لعباده وذلك بان يروضها

سوره	آية	
		علي فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبحها عن الشهوات والمنهيات وقد وعد جل شانه من تأدب بهذه الاداب فاجتنب محارمه وترك نواهيه وطلب التقرب اليه بالطاعات والعبادات وجاهد نفسه بكفها عن كل ماتشتهيه ومنعها عما تبتغيه بالفلاح والسعادة والفوز بالنعيم الدائم الخالد المستمر وذلك بقوله (لعلكم تفلحون)
		ومن تتبع الايآت القرآنيه الآمرة بالتقوى والحاضة على امتثال اوامر الله تعالى واجتناب محارمه والحاثة علي وجوب طاعته والائتمار باوامره مما فيه اكمل الاداب وجدها كثيرة لاتكاد تحصي فاكتفينا منها هنا بالنزر القليل ليقاس على الشاهد الغائب ولان ماذكر فيه كفاية للمسترشد والمستفيد والله ولي الرشد والتسديد
		﴿ الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾
		اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم من تجب حرمته وتبجيله وتوقيره لانه صلي الله عليه وسلم هو السبب في هداية الخلق وارشادهم الى سعادتهم الدنيوية والاخروية ورفعهم من حضيض الشقاوة الى أوج السعادة واخراجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان مع مقاساته المشقات والمتاعب فى ذلك وليس من العدل والمروءة أن يقابل صلي الله عليه وسلم تجاه ذلك بغير كمال التبجيل وتمام الاحترام و التعظيم والادب معه بكل وسائله سواء كان بالفعل أو بالقول
		ولما كان علو مقامه صلي الله عليه وسلم بالمكانة التى قلما يمكن لاحد ان يقوم بما يجب لها من الاداب بنفسه — سن الله سبحانه وتعالي لعباده المؤمنين من الاداب ما به يعرفون كيف يعاملونه صلي الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء كان ذلك من جهة فعل مايكرهه بين يديه وخصوصا اذا وجدوا معه في المجتمعات العمومية أودخلوا بيته بغير اذنه — أو من جهة طاعته ولزوم متابعته والنزول عند حكمه والرضا بقضائه او غير ذلك ومن ذلك يتنوع الادب معه صلي الله عليه وسلم الى نوعين
		النوع الاول
		﴿ هو ما افاده الله تعالى بقوله ﴾
الحجرات	٢	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ٣ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

	سورة	آية
(ما تشتمل عليه هاتان الآيتان الكريمتان من صنوف الآداب معه صلى الله عليه وسلم)		

تشتمل هاتان الآيتان الكريمتان على صنوف الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسوله صلى الله عليه وسلم من الاجلال والتعظيم والتبجيل والتكريم وذلك انه اذا كلمه احد منهم فمن الادب ان لا يرفع صوته فوق صوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم لان خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة — وان لا يجهر له بالقول كما يجهر لاخيه اذا كلمه لان ذلك انما يكون بين الاكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره مع ما فيه من الجفاء فى مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الادب معه ثم علل سبحانه وتعالى ماذكره بقوله (ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له في القول كما يجهر احدكم لأخيه اذا كلمه خشية ان يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من اغضبه وهو لا يشعر ولا يدرى ثم ندب سبحانه الى خفض الصوت ورغب فيه فقال (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم) اي ان الذين يخفضون اصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتعظيما اولئك الذين اخلص الله قلوبهم للتقوى وجعلها لها اهلا ومحلا وكان جزاؤهم لذلك مغفرة واجرا عظيما

(وقال تبارك اسمه في تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسوله صلى الله عليه وسلم لا سيما اذا وجدوا معه فى المجتمعات العمومية)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ — النور ٦٢

﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ما ارشد الله اليه عباده المؤمنين من الاداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام في حال ما اذا كانوا مجتمعين معه فى امر مهم كالجمعة والجماعة والجهاد والتشاور فى امر وغير ذلك مما يدعو الي الاجتماع من انهم لا يتفرقون عنه صلي الله عليه وسلم ولا ينصرفون عما اجتمعوا لأجله الا بعد ان يستأذنوه فينتظرون بعد ذلك ما يأمر به من الانصراف او عدمه فانهم خالفوا ذلك وخرجوا دون اذن كان ذلك علامة

سورة	آية	

تقاقهم وعدم ثبات ايمانهم لان الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير اذنه من علامات عدم الاكتراث به وعدم مكانته فى قلوبهم وعدم رغبتهم فيما اجتمعوا لاجله وذلك من أعظم الجنايات وأفظعها ولذا جعل جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند ارادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الايمان فى قوله (ان الذين يستاذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي ومن لم يستأذن عند ارادة الانصراف فليس بكامل الايمان

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مخير بين الاذن وعدمه حسبما تقتضيه المصلحة التى يراها وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم)

ومن الآية الكريمة يؤخذ ادب المرؤس مع رئيسه وأدب المريد مع استاذه وأدب المتعلم مع معلمه وأدب المصلين مع امامهم وأدب الرعية مع رعاتهم فان مراعاة الادب معهم واعتبار حرمتهم من الواجبات فلا يبرمون امراً دونهم ولا يرسمون لهم خطة الا اتبعوها ولا يأمرونهم بأمر الا بادروا بتنفيذه ولا ينصرفون من مجالسهم الا بعد استئذانهم وبالجملة يفعلون كل مافيه تجبلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون كل مافيه تحقيرهم واهانتهم والله ورسوله اعلم

﴿ وقال تعالى في النهي عن الدخول فى بيوته صلى الله عليه وسلم بغير اذنه وبدون دعوة والمكث بعد الاطعام وتكليم ازواجه بغير حجاب وتزوجهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ﴾

الاحزاب ٥٣ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة وما تشتمل عليه من صنوف الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وتعظيمه بما

آية	رمسو	

اشتملت عليه من الاحكام والآداب الشرعية التى أدب الله بها عباده المؤمنين وأوجب عليهم رعايتها نحو مقامه صلى الله عليه وسلم (وتشتمل على أربعة آداب)

(الاول) عدم جواز دخول بيوته صلى الله عليه وسلم بغير اذنه لان في ذلك اطلاعاً على عورات منازله وعدم رعاية حقوق ازواجه صلى الله عليه وسلم والتهجم عليهن فى بيوتهن وربما كانت احداهن مكشوفة احد الاعضاء ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك ويتأذى منه كثيراً ولكن كان يكره ان ينهاهم عنه من شدة حيائه كما قال تعالى (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحى منكم والله لا يستحي من الحق) وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه) أي منتظرين نضجه واستواءه فان ترقب ذلك وانتظاره لا يقع الا من سفلة الناس وأدنيائهم

(الادب الثانى) انه اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى طعام فعليهم ان يبادروا الى اجابته والدخول عليه ولكن بعد الاذن لهم به لان مجرد الدعوة لا يكون اذناً كافياً فى الدخول وعليهم بعد ذلك اذا قضوا غرضهم من الاكل والشرب ان لا يثقلوا بمكثهم بعد الاكل يتحدثون ويتسامرون لما في ذلك من التضييق على اهل المنزل وهذا مالم يكن مكثهم بعد الاكل لمهم آخر يدعو اليه فانه لا بأس به حينئذ وهذا الذى افاده الله تعالى بقوله (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث) أي لا يسوغ لكم الدخول بغير دعوة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا دخلتم وأكلتم فتفرقوا ولا تمكثوا يستأنس بعضكم ببعض لأجل حديث يحدثه به

(الادب الثالث) عدم النظر الى ازواجه صلى الله عليه وسلم واذا اضطر الى سؤالهن عن حاجة فليكن ذلك من وراء حجاب وستر فان ذلك أطهر لقلبه وقلوبهن من الريبة وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (واذا سألتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) واذا كان هذا مع أزواجه صلى الله عليه وسلم فأولى مع غيرهن

(الادب الرابع) عدم تزوج أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للاولاد تزوج الامهات وهذا الذي افاده الله تعالى بقوله (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) وقد اشار الله تعالى الي التغليظ في ذلك وتشديد النكير على من ارتكبه بقوله (ان ذلكم كان عندالله عظيما) أي ان زواج ازواجه صلى الله عليه وسلم من بعده كان عند الله ذنباً عظيما وجرماً هائلا كبيرا

سوره	آية	

ثم اعلم ان هذه الآداب وان كانت بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع الا انه لا بأس ان تكون كذلك بالنسبة لنا لأن الله عز وجل ما ذكر ذلك في القرآن الكريم الا ليرشدنا كيف يعامل بعضنا بعضا ويتأدب بعضنا في حق بعض ومثل ذلك سائر القصص الموجودة فى القرآن فانها انما تذكر على سبيل الاعتبار والارشاد الى ما كان عليه الامم الدائرة وما كان يفعله الله سبحانه معهم عند ما كانوا يطيعون أو يعصون أو غير ذلك والله ولى التوفيق

﴿ النوع الثانى ﴾

(متابعته صلي الله عليه وسلم في كل ما جاء به عن ربه والنزول عند حكمه والرضا بقضائه ومن ذلك قول الله تعالى)

الاحزاب ٣٦ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً

﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمه بيان ما ارشد الله اليه عباده المؤمنين من الادب وحسن المعاملة مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا حكم على احدهم بشيء فليس له ان يختار من أمره شيئاً بل يجب عليه ان يجعل رأيه تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام واختياره تبعاً لاختياره حتى يكون بذلك مؤمناً حقيقة كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)وقد شدد الله سبحانه على من لم يرض بحكمه واختار غير ما اختاره صلى الله عليه وسلم بقوله (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أي ومن يعص الله ورسوله فى أمر من الامور ومن ذلك عدم الرضا بقضائه وحكمه فقد ضل عن طريق الحق ضلالا مبينا واضحاً ظاهراً فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الادب معه صلى الله عليه وسلم بحال لا يصح لمؤمن ولا مؤمنة ان يتلبس بها او يكون عليها

(وقال تعالى في الارشاد الى وجوب متابعته صلي الله عليه وسلم في كل ما امر به أو نهى عنه وان من خالف ذلك فله العذاب الاليم والعقاب الشديد)

سورة	آية	
الحشر	٧	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به بفعل كل ما أمر به وترك كل ما نهى عنه وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) اي مهما امركم به من الطاعات وفعل الخيرات فافعلوه ومهما نهاكم عنه من الخبائث والمنكرات فاجتنبوه لانه انما يأمر بخير وانما ينهي عن شر ومن قلة الادب والحياء ان يعصي المرء من يأمره بما يعود عليه بالخير وينهاه عما يعود عليه بالشر والضير ولذا بعد ان امر جل شأنه بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فى كل ما امر به او نهى عنه امر بتقواه وخوف من شدة عقوبته من يخالف امره ويعصيه فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) أى امتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه لانه شديد العقاب لمن عصاه وارتكب ما عنه زجره ونهاه هـذا والآيات القرآنية الدالة على وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم فيما امر به ومجانبة مانهى عنه كثيرة تكاد لا تحصى ومن اراد استقصاءها فعليه بالقرآن فهو الدواء الشافي والله ولي التوفيق ومنه الرشد والسداد

(ادب المرء في نفسه)

اعلم ان ادب المرء في نفسه ان يكون في نفسه على احسن صفات الكمال وأجمل الخلال فـلا يصدر منه مايوجب الذم واللوم ولا يقع منه مايخل بالمروءة او يقلل من قيمته او يحط من قدره فان وعد وفى وان اؤتمن لم يخن وان تمكن من فعل محرم عف عنـه وكف وان رأى منكراً غيره وان تـكلم غض من صوته وان مشي لم يختل في مشيته وان رأى كبيراً وقره وان مر بلغو من القول او الفعل تجنبه ان لم يقدر على دفعه وهكذا من كل خصلة حميدة وصفة جميلة

وقد بين الله صنوف هذه الآداب على اكمل وجه واحسن حالة وانى ذاكر لك طرفا منها بمعونته تعالى وحسن توفيقه

﴿ قال الله تعالى في بيان آداب غض البصر وحفظ الفرج وعـدم التبرج بالزينات وعدم فعل اى شئ من دواعي الشهوة وأثارة الفتنة سواء كان ذلك للرجال او للنساء ﴾

سورة	آية	
النور	٣٠	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ

سوره	آية	

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣١ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ
أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان اكمل الآداب التى يجب على كل من الرجال والنساء ان يتخلقوا بها ويتجملوا بحلاها وهي بالنسبة للرجال ان يغضوا ابصارهم عن النظر الى ما لا يحل النظر اليه من اجنبية غير محرم لهم لا سيما اذا مشوا فى الطرقات او في غيرها لأن العين مبدأ الزنا والنظر يزرع في القلب الشهوة التى هي مجلبة لسائر المفاسد والمنكرات ولذا نهى صلي الله عليه وسلم عن الجلوس علي الطرقات لانه لا يخلو الجالس عليها من النظر الى ما لا يحل النظر اليه غالباً بقوله (اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يارسول الله لا بد لنا من مجالسنا نقعد فيها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ابيتم فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يارسول الله قال غض البصر وكف الاذى وردّ السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وان يحفظوا فروجهم من التعدى على عرض الغير وان يمنعوا أنفسهم من النظر اليها وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم) ثم بين جل شأنه الحكمة التى من اجلها امروا بذلك متوعداً من يخالف امره ويتعدى حدوده بقوله (ذلك أزكي لهم وأطهر ان الله خبير بما يصنعون) أى ما ذكر من الغض والحفظ اطهر لهم من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة وعليهم بعد علمهم ذلك ان يراقبوا الله فيما به أمر ويتركوا ما عنه نهى وزجر لانه جل شأنه خبير بما يصنعون فيجازيهم عليه

وأما هذه الاداب بالنسبة للنساء فهي أن يغضضن ابصارهن ويمنعنها النظر الى غير ازواجهن — وان يحفظن فروجهن من الزنا ومن رؤية احد لها ولا يظهرن شيئاً من زينتهن للاجانب الا ما ظهر منها ولم يمكن اخفاؤه كالرداء والثياب الظاهرة — وان

آية	سوره

يلقين على صدورهن ونحورهن مقانع ليسترنها عن اعين الناظرين فلا يرون منها شيئا— ولا يبدين زينتهن الا لازواجهن او آبائهن او آباء ازواجهن او ابنائهن او ابناء ازواجهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن المختصات بهن لخدمة او صحبة بشرط ان يكنّ مسلمات لأنّ غيرهن من الكوافر لا يتحرجن من وصفهن للرجل وذلك يجرّ الى المفسدة او ما ملكت ايمانهن من الاماء او الاجراء والاتباع الذين لا حاجة لهم الى النساء ولا الى شهوتهن او الاطفال الذين لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها فهؤلاء لا بأس من اظهار الزينة لهم لعدم توقع حصول ضرر منهم وهذا ما افاده الله تعالي بقوله (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا علي عورات النساء)

وقد شدد الشارع الحكيم في عدم ابداء الزينة للنساء لما يعلم ما يترتب على ذلك من المضرة والمفسدة حتى نهى المرأة عن ان تضرب برجلها الارض ليعلم ما خفى من زينتها كالخلخال ونحوه فقال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ومثل ذلك ما لو كان شئ من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما خفى منه او ان تتعطر وتتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها وكذا لبس الاغطية ألتي يتخذها مترفات النساء في زماننا من الحرير الاسود علي اختلاف اصنافه وتنوع اشكاله وما فيه من الثنيات فى الوسط والاسفل فان ذلك كله داخل تحت هذا النهى لما فيه من المفسدة والمضرة وقد عمت البلوى بذلك ومثله ما عمت به البلوى ايضاً من عدم احتجاب اكثر النساء عن اخوان أزاجهن وعدم مبالاة أزواجهن بذلك وكثيرا ما يأمرونهن به فان ذلك كله مما لم يأذن به الله ورسوله وأمثال ذلك كثير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى الله المؤمنين بالتوبة فقال (وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أى افعلوا ما آمركم به من الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركو ما أنهاكم عنه من الاخلاق والصفات الرزيلة فان الفلاح كل الفلاح فى فعل ما أمر الله ورسوله به وترك ما نهيا عنه وحذرا منه

(وقال تبارك اسمه يعلمنا من الاداب احسنها ومن الاخلاق اجملها واكملها من اقام الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر وعدم الاعراض عن الناس احتقارا

سوره	آية	
		لهم واستكبارا عليهم واستعمال الحد الوسط فى المشى وعدم المشى فى الارض على سبيل العجب والكبر وعدم رفع الصوت عند التكلم حاكيا ذلك عن لقمان عليه السلام يوصي ابنه)
لقمان	١٧	يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عنِ الْمُنْكَرِ واصْبِرْ عَلَى ما أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٨ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ولا تَمْشِ في الارْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٩ واقْصِدْ في مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ

(ما تشتمل عليه هذه الآيات الكريمة من الوصايا النافعة والآداب الفاضلة)

تشتمل هذه الآيات الكريمة على اهم مكارم الاخلاق واعظم صفات الكمال على الاطلاق وذلك — من اقام الصلاة التى من اقامها على الوجه الشرعى من الخشوع والخضوع والتعظيم والحياء والذلة والاستكانة لازم الادب قلبه والخشية جوارحه ونهته عن الفحشاء والمنكر وذلك غاية الادب ونهاية مكارم الاخلاق — ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من لقمان عليه السلام لابنه من باب تذليل النفس ورياضتها لاقبالها على الطاعات ونبذها للمنكرات بلطف وهذا شأن المعلم الحكيم فان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تستنكف نفسه وتكره أن يراه الناس حيث نهاهم فيفعل المليح ويجتنب القبيح من حيث لا يشعر فضلا عما يترتب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من ارشاد الخلق الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة احوالهم وانتظام شؤونهم

ولما علم لقمان عليه السلام بما اوتيه من الحكمة والاصابة في الرأى ان الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر لا بد ان يقابل من المأمورين والمنهيين بأذى كثير لانه انما يأمرهم بمفارقة ما مالت اليه أهواؤهم والفته نفوسهم وتعلقت به رغائبهم ومفارقة ذلك اصعب شيء على النفس امر ابنه مع ذلك بالصبر على اذاهم وتحمل الالام والمشقات التى تحصل له فى سبيل ذلك وبين له ان الصبر على ذلك من عزم الامور حيث قال (واصبر على ما اصابك أن ذلك من عزم الامور)

ولما كان الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر يجب ان يكون متصفا باحسن صفات الكمال من الادب والتواضع والحلم وعدم التكبر على الخلق وعدم احتقارهم والاستخفاف بهم حتى يكون ذلك سببا في قبول امره ومجانبة نهيه أمر لقمان عليه السلام ابنه بما يجمع هذه الخصال فقال (ولا تصعر خدك للناس) اي لا تعرض عنهم بوجهك اذا كلمتهم او كلموك

سورة	آية

احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم بل ألن جانبك لهم وتواضع لصغيرهم وكبيرهم واجلب محبتهم اليك بحسن صنيعك معهم ولطف معاملتك لهم فانهم بذلك ينتظرون لك أمراً فيتبعونه او نهيا فيجتنبونه

وبعد ان بين عليه السلام كيف يصانع الناس ويعاملهم ويعاشرهم أخذ يبين له ما يجب ان يكون هو عليه في نفسه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من عدم المشيء خيلاء علي سبيل العجب والكبر مبينا له أن ذلك يغضب الله تعالى ومن استعمال الحد الوسط فى المشي ومن غض الصوت وعدم رفعه عن الحاجة عند التكلم فقال (ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير) اى اذا مشيت في الارض فلا يكن مشيك خيلاء لان الله يبغض من هذه حالته واذامشيت فليكن مشيك لا بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط واذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة فان الجهر باكثر من الحاجة مما يضر بالسامع ويؤذيه ولان صوته بذلك يكون منكرا يشبه صوت الحمير الذى هو اقبح الاصوات وانكرها كما قال جل شأنه (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) والله اعلم

(وقال تعالى فى بيان ما ارشدنا اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من عدم السخرية بالناس وترك اللمز والتنابز بالالقاب وسوء الظن بالناس والتجسس والغيبة)

الحجرات ١١ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١٢ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الايتان الكريمتان الى ما علمنا الله من الصفات الحسنة والاخلاق المستحسنة وهي ان لا يسخر احد باحد ويستخف به ويستحقره وان لا يعيب احد على احد بشيء يكرهه وان لا يدعو احد اخاه بلقب يكرهه وان لا يسيء ظنه بأحد من

سوره | آية

اخوانه المؤمنين وأن لا يبحث ويفتش عن عورات المسلمين ومعايبهم ويستكشف ماستروه وان لا يذكر اخاه بما يكرهه في غيبته فان ذلك كله مما نهى الله عنه ورغب في التباعد منه

فنهى عن السخرية بالناس والاستخفاف بهم بقوله (ياايها الذين امنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) اى لا يصح ان يستهزيء احد باحد ولايحقره ولايستخف به سواء كان من الرجال او النساء لمجرد انه رآه رث الهيئة او فقيرا او ذا عاهة في بدنه او غير ذلك لانه ربما كان المسخور به عند الله خيرا من الساخر فيكون الساخر قد ظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالي والسخرية انما تحرم اذا كانت في حق من يتأذى بها اما من جعل نفسه سخرية وربما فرح بها كما يفعله السفلة من الناس كانت السخرية في حقه من جملة المزح وليس بمحرم

ونهي عن أن يعيب احد غيره بقوله (ولا تلمزوا انفسكم) اى لا يعب بعضكم بعضا بقول اوفعل أو اشارة لان المؤمنين كنفس واحدة فمتي عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وهذا ادب كبير ادب الله به عباده المؤمنين ليكون سببا في الفتهم واتحادهم وارتباط قلوبهم

ونهى عن ان يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه بقوله (ولا تنابزوا بالالقاب) أى لا يدع أحد أخاه بلقب يكرهه لان ذلك يزرع في القلوب الضغينة ويمكن فيها الحقد والبغض وهو ما جاء الشرع الشريف بازالته ولذا سمى جل شأنه التنابز بالالقاب الذي هو داعية الحقد والبغض فسقا وذمه بقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ونهى عن كثير من سوء الظن بالناس بقوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) والمراد بالظن المنهي عنه مجرد التهمة التي لا سبب لها ويشترط في حرمته ان يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر وعهد فيهم الصلاح والامانة اما من يتعاطي الريب ويجاهر بالفجور والمنكرات كالدخول والخروج الى حوانيت الخمور وصحبة الغواني الفاجرات فلا يحرم سوء الظن فيه

ونهي عن البحث والتفتيش عن عيوب الناس وعوراتهم بقوله (ولا تجسسوا) اى لا تبحثوا عن عورات المسلمين ولا تستكشفوا عما ستروه فان في ذلك فضيحة لهم وتعرضا لما لا يعني ولا يفيد ونهى عن ان يذكر أحد اخاه بما يكرهه في غيبته بقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) اي لا يذكر بعضكم بعضا بما يكرهه في غيبته سواء كان ذلك باللسان او بالفعل او بالاشارة او بالكتابة او غير ذلك مما يفيد المقصود ويفهم نقصان الغير وتعريفه بما يكره فان علة النهي عن الغيبة

سورة	آية

الايذاء بتفهيم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث افهم الغير ما يكرهه المغتاب باي وجه كان من طرق الافهام

وسواء كان ذلك الشيء المكروه الذى يذكره به نقصا في بدنه او نسبه او خلقه او فى فعله او في قوله او في دينه او فى دنياه حتى فى ثوبه وداره وماله وولده وزوجته ومملوكه وخادمه وغير ذلك من كل ما يتعلق به

فذلك كله مما كرهه الله ونهى عنه حتى جعل المغتاب كانه يأكل لحم اخيه ميتا — ذلك الامر المستبشع طبعا وعقلا وشرعا ومحل حرمة الغيبة اذا لم يكن المغتاب مجاهرا بالمعاصي متهتكا لا يبالى بما يفعل فان الغيبة فى مثله جائزة وذلك لان الذى يعلن بالفجور والفسوق ولا يستحي من الخالق ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتى من الكبائر ويظهر من الفضائح والمناكر قد كشف اساره وابدي عواره فخرج من حد الظن الي حد اليقين فمثل ذلك ليس هو المقصود من النهى والله اعلم

وبعد ان امر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال (واتقوا الله) ثم علل الامر بالتقوى بقوله (ان الله تواب رحيم) اى كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب ما نهى عنه وتاب مما فرط منه

﴿ وقال جلت حكمته فى النهي عن الفحش والسب والشتم وبذاءة اللسان والجهر بالسوء من القول ﴾

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا | النساء | ١٤٧

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة من الاداب والفضائل ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة النهي عن البذاءة باللسان والجهر بالسوء من القول سواء كان ذلك القول السيء شتما او سبا او لعنا او مراء او خصومة او ذما فى حق الغير او غير ذلك مما يدل على حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حيائه وسوء تربيته

ولما كان الجهر بالسيء من القول بهذه المكانة من القبح عبر الله عن النهي عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره فقال (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولم يقل ولا تجهروا بالسوء من القول اى وحيث كان مبغضا لله وغير مرضى له فهو اولى الاشياء المنكرة بالاجتناب واحقها بالترك والاستبعاد

ثم استثني جل شأنه من بغضه للجهر بالسوء من القول جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه او يتظلم منه او يذكره بما فيه من السوء لانه انما يستغيث ليغاث ويستجير لينجد

سورة	آية	
		ويذكره بسوء لعله يرد عليه ظلامته او لان المظلوم مصدور وهو لا بد أن ينفث وهذا ما لا بد منه من طريق الفطرة فرخص الشارع له ذلك
		وفي ذلك دلالة على قبح الظلم والظالم وعدم نظر الله له وعدم اعتبار حرمته وعلى احتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمة الجهر بالسوء من القول في حقه ثم اخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال (وكان الله سميعا عليما) اى سميعا لما تقولونه من القول السيء عليما به فيجازيكم عليه
		﴿ آداب المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق ﴾
		هي ان يعاملهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير منهم والصغير ولا يخاطب احداً بغلظة ولا يتكبر ولا يتعاظم على احد منهم ويستجلب محبتهم بمكارم اخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه ولا يكثر المراء والخصومة معهم وان يبتدر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية واذا حياه غيره بتحية ردها بعينها او باحسن منها وان يلقى غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الاخلاق والادب وان لا يسفه عليهم ولا يؤذيهم بقول او فعل وان يعفو عن مذنبهم ويصفح عن تائبهم ويتودد اليهم بكل وسائل انواع التودد وان لا يعد احدا منهم بوعد الا ويفي به وان يكرم حديث اخيه بالانصات اليه وحسن الاقبال عليه وان يفسح للقادم عليه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه بغاية الادب والسكون والوقار وان لا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة من هو اكبر منه سنا او فضلا وان اضطر الى ذلك حول وجهه وامتخط في منديل او وضع على فمه يده او منديلا وان لا يضع رجلا على رجل بحضرة من هو اكبر منه من قريب او اجنبي الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة
		وقد جاء القرآن الكريم مبينا لهذه الآداب على احسن وجه واكمله مرشداً الى الى ما يجب التخلق به ويلزم استعماله فى معاملة الخلق من كل ما يجلب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتتحد كلمتهم وتتألف جامعتهم ويسعون لانفسهم فيما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الشر والضير واني ذاكر لك طرفا من ذلك بعونة الله تعالى وحسن توفيقه
		(فمما حث عليه فى القران مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالغفران والغضب بالحلم والغيظ بالكظم مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك وفضل من اتصف بهذه الخصلة الحميدة فقال)
فصلت	٣٣	وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بينَكَ وَبَينَهُ عَدَاوَةٌ كأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَما يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم | آية | سورة

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به من حسن المعاملة مع صنوف الخلق الصغير منهم والكبير فان اغضبوه صبر وان جهلوا عليه حلم وان اساؤا اليه عفى عنهم وان اذنبوا في حقه ذنباً غفره فان فعل ذلك صار العدو له حبيبا والبعيد عنه قريباً وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)اى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة التى هي أحسن من أختها وادفع بها السيئة التى تعرض عليك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويشتمك فتعطيه جائزة فانك ان فعلت ذلك وأحسنت اليه من حيث أساء اليك قاده احسانك عليه الى مصافاتك ومحبتك حتى يصير كانه ولي حميم أى قريب اليك من الشفقة عليك

ثم أخذ جل شأنه يمدح من اتصف بهذه الصفة فقال (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى وما يقبل هـذه الوصية ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة لانها من الامور الشاقة على النفس والا ذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة فما أعظم هذه المكارم وما أجمل من يتحلى بها

(وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن المعاملة مع بعضنا ويرشدنا الى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية والسلام وحسن الرد)

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبا | ٨٥ | النساء

﴿ معنى الآية الكريمة وما اشتملت عليه من الادب وحسن المعاملة ﴾

يقول الله تعالى ارشاداً لعباده المؤمنين وتعليما لامة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم فان قال لكم السلام عليكم فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وان قال السلام عليكم ورحمة الله فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وليس في السلام زيادة على

سوره	آية	
		ذلك أو ردوا عليه بمثل ما سلم عليكم واقتصروا على مثل اللفظ الذي جاء به لانه جل شأنه محاسب على كل شيء من أعمالكم ومن ذلك التحية والرد ومن تأمل قليلا فيما يترتب على البداءة بالتحية وحسن الرد من التوادد والتحابب بين المسلمين وما يترتب على ذلك من جلب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتتحد كلمتهم وتتألف جامعتهم علم حكمة الشارع الحكيم في مشروعية هذه الآداب ومكارم الاخلاق وما يرمي اليه غرضه منه
		(وقال تعالت اسماؤه يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم والعاصي)
الشعراء	٢١٥	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١٦ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أرشد الله اليه نبيه عليه الصلاة والسلام من كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن عصاه منهم فقد أمره ان يلين جانبه ويتواضع للمؤمنين لان ذلك أدعى الى اجتماع كلمتهم عليه ومحبتهم له وقيامهم نصرته وسعيهم في اعلاء كلمته كما أمره ان يجمل المعاملة ويحسن الصنيع مع من خالفه ولم يتبعه لما في ذلك من محبتهم له وعدم نفورهم منه وربما كان ذلك سببا في رجوعهم عن معصيته وعدولهم عن مخالفته الى طاعته وهذا منه جل شأنه له عليه الصلاة والسلام من التدبيرات الالهية والسياسات الشرعية التى يجب على كل من قام بالدعوه ليرشد الناس ويهديهم أن يكون متخلقاً بها متحلياً بحلاها

وقد بين جل شأنه لنبيه عليه السلام كيفية معاملته لمن خالفه وعصاه بقوله (فان عصوك فقل انى بريء مما تعملون) أى فان عصوك فقابلهم باللطف والحنو عليهم ولا تعاقبهم ولا تقس عليهم في المعاملة وغاية ما تقابلهم به أن تتبرأ من عملهم وهذا نهاية مكارم الاخلاق وحسن المعاملة

والآية الكريمة وان كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال اللين واللطف وحسن المعاملة هو خصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الامر يسرى لامته ولاتباعه بطريق التبع لان كل امر له امر لامته ما لم يرد نص مخصص وعليه فيجب على كل منا أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ويستجلب محبتهم اليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه سواء المحسن منهم والمسيء فان ذلك أدعي لاعانتهم له

سورة	آية

وقت الشدة واغاثتهم له وقت الحاجة ونصرته وقت الضيق والله ولى التوفيق

(وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن المصانعة مع اليتامى الاذلاء والفقراء الضعفاء ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة والقدوة المستحنة)

الضحى ٩ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ١٠ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١١ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

﴿ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمه﴾

يؤخذ من هذه الآيات الكريمة وجوب حسن المعاملة ولطف المجاملة مع هذين الصنفين من الناس وهما اليتيم الذي فقد أباه وهو صغير والسائل الذي ألجأته الحاجة والفاقة الى ذل السؤال وتكفف الناس

فحسن المعاملة مع اليتيم ان لا يقهره ولا يغضبه وان لا يأخذ منه حقاً هو له وان يكون له كالاب الرحيم للولد البار فيسعى في نماء ماله ان كان له مال وفي تعليمه وتربيته ويحسن كفالته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ولا يفعل به اي امر يكدره او يحصل له منه ضرر

وانما وصي جل شأنه على اليتيم هنا وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم لان اليتيم الذى مات ابوه المتكفل بحسن تربيته وتعليمه ونجاحه والقائم بتدبير حالته المعاشية والنظر فى كل ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر والضير اذا لم يجد من يقوم له بما كان يقوم له به ابوه ولم يحث جل شأنه علي الوصاية وحسن العناية به فلا شك ينشأ على الاخلاق الفاسدة والطباع الرذيلة فيكون بذلك كلا على الهيئة الاجتماعية بل وعلي نفسه وعائلته بل والناس اجمعين فلعل هذا والله أعلم سر عناية الرب جل جلاله بالوصاية على اليتيم والترغيب فى حسن كفالته

وحسن المعاملة مع السائل تكون اما باجابة ما سأله والنصح له مع عدم التكبر والتجبر والفحش في القول واظهار الفضل عليه ان كان سائلا عن علم — واما باعطائه سؤله او رده بلطف ولين وتعطف به ان كان محتاجاً يسأل ما يسد به رمقه لانه لا يصح مع ذل السؤال الذى اضطرته اليه الفاقة ان تكون معه الفظاظة والكبر والغلظة من المسؤل على انه لا يحسن عاقل ان يتقلب في نعمة ولا يرى من الشكر عليها ان يمنح اخاه المؤمن وهو يسأله ما منحه الله من العلم مع انه لا ينقصه شيئا او ان يمنحه شيئا طفيفا لا يؤثر فى ثروته ولا ينقص مما عنده من المال شيئا فان لم يمنحه ما سأله من العلم او المال مع عدم تأثير ذلك فى ثروته فذلك من زمانة في مروءته وخسة في طبعه والله

سورة	آية	
		أسال أن يرشدنا الى اتباع سنته والتخلق بآدابه انه سميع الدعاء كثير العطاء
		(وقال جل ذكره يحث على حسن المعاملة مع الناس بالعفو عن مذنبهم والصفح عن تائبهم)
النور	٢٢	وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى وجوب صلة الرحم والاقرباء مهما اقترفوا من الذنب وان لا يكون ما فعلوه سببا فى ان يأتلى اولو الفضل والسعة والغنى اى يحلفوا ان يمنعوهم ما كانوا يحسنون به عليهم ولكن معاملتهم مع ذلك بالعفو عن ذنبهم الذى اذنبوه وخطاياهم التي اقترفوها والصفح عن تائبهم بالاغضاء عنه والاغماض عن جنايته فان ذلك سبب لعفو الله تعالى ومغفرته كما قال تعالى مرغبا في الصفح والعفو حاثا عليهما (وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم)

هذا والايات القرآنية الدالة على محاسن الآداب ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة ولطف المصانعة والمجاملة مع صنوف الخلق كثيرة لا تكاد تحصى فمن ذلك غير ما ذكر قوله تعالى لموسي عليه السلام واخيه هرون عند ما امرهما ان يذهبا الى فرعون ليدعواه الى عبادة الله تعالى (اذهبا الى فرعون أنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر اويخشى) فتراه امرهما ان يستعملا معه اللين في القول والملاطفة لعله بسبب ذلك يقبل قولهما ويجيب طلبهما ومن ذلك قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) وغير ذلك فى القرآن كثير قد اقتصرنا منه على هذا القدر اليسير ليقاس على الشاهد الغائب والله ولى التوفيق

﴿ الادب فى الزيارة ﴾

أعلم ان الانسان خلق مدنيا بالطبع لا يمكنه ان يعيش منفردا بل لا بد له من مخالطة ابناء جنسه والمعاملة معهم والتودد لهم ولما كانت الزيارة وتودد الناس الى بعضهم من اقوي أسباب المحبة وامتن روابط المودة لتبادل المنافع العمومية في [illegible] التي هى من

سوره | آية ‖ ضروريات المعيشة للانسان وللافادة والاستفادة كان من المستحسن بيان ما لها من الآداب والشروط حتى تأتى بالفائدة المقصودة منها اذ كثيرا ما تكون الزيارة سببا في تفرق الاصدقاء ونبذ الصحبة بين المتصاحبين اذا فقد شرطها او اختل ادب من ادابها كأن يدخل الزائر بيت المزور بغير إذنه أو يدخل باذنه ولكن يشخص ببصره نحو نوافذ البيت وابوابه الى غير ذلك مما يخالف الاداب ويرمي بصاحبه الى مهواة العذاب

لذلك جاء القرآن الكريم وهو المعلم الاول والمرشد الاكبر ببيان اداب الزيارة وما يجب ان يكون عليه صاحبها من الآداب والكمالات

﴿ فمن ذلك عدم الدخول في بيت احد الا بعد الاستئذان منه بالدخول ما لم يكن بيتا غير مسكون فيه متاع له فله ان يدخله بدون استئذان وقد بين الله ذلك بقوله ﴾

النور ٢٨ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ٢٩ فإن لم تجدوا
فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ٣٠ ليس عليكم جناح أن تدخلوا
بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما ادب الله به عباده المؤمنين اذا زار احدهم الآخر فبين جل شأنه انه لا يصح لاي شخص ان يدخل في بيت لا يملكه الا بعد ان يسلم على اهله ويستأذن منهم في الدخول فيقول السلام عليكم أأدخل فان لم يجد احدا في البيت او وجد وقال له ارجع فليرجع من غير معاودة استئذان مرة اخري وعليه بعد ذلك ان ينصرف فان ذلك خير له وافضل لما فيه من البعد عن الريبة والتهمة بالمنكر وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اي تستأذنوا (وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتي يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم) وهذا اذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين اما اذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصد منها كالفنادق وبيوت التجار وحوانيتهم التي في الاسواق فمثل هذه لا بأس من الدخول فيها بغير استئذان وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ليس

سوره	آية	
		عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وما تكتمون)
		وانما نهى جل شأنه عن الدخول في بيوت الغير بغير استئذان لان من في البيت من النساء عادة عند ما يأمن دخول احد عليهن ربما كشفن ما لا يحل كشفه لقريب فضلا عن غريب فاذا دخل بغير استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على عوراتهن وهو ما تأباه المروءة . ولان في الدخول بغير استئذان تصرفا فى ملك الغير بغير اذنه وهو ممنوع
	*	وعليه اذا استأذن وقيل له من انت ان لا يقتصر فى الجواب على قوله (انا) لان ذلك لا يفيد العلم به والمقصود علم صاحب البيت به حتى يرى ان له رغبة فى دخوله او مقابلته او لا يري ذلك على انه لا يحصل المقصود من الاستئذان المامور به في الاية الا مع التصريح باسمه والله اعلم
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان انه اذا دخل اى شخص في اي بيت سواء كان له او لغيره عليه ان يسلم على اهل ذلك البيت ﴾
النور	٦١	فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً
		﴿ ماترشداليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماادبنا الله به من الآداب الشرعية والاخلاق الطاهرة الزكية من أنه اذا دخل احدنا بيته او بيت غيره سلم على اهل ذلك البيت الموجودين فيه ان كان مسكونا فان كان غير مسكون سلم على نفسه غير انه ان دخل بيت غيره اصحب السلام بالاستئذان كما في الآية المتقدمة وهذا ماافاده الله تعالى بقوله(فاذا دخلتم بيوتا فسلموا علي انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) اى فاذا دخلتم اى بيت سواء كان لكم او لغيركم كما يقتضيه العموم فى الآية فسلموا علي انفسكم اى على اهله الذين هم بمنزلة انفسكم ان كان مسكونا او على انفسكم حقيقة ان كان غير مسكون تحية من عند الله اي ثابتة بامر الله تعالى مشروعة من لدنه مباركة اى كثيرة البركة والخير طيبة لان بها تطيب نفس المستمع وفى وصف التحية بانها من عند الله وانها مباركة وانها طيبة ترغيب فيها وحث على فعلها حسب امره جل شأنه
		وقال تبارك اسمه في وجوب استئذان المماليك والخدم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول على مخدوميهم وآبائهم فى ثلاثة اوقات من الليل والنهار ووجوب استئذان الاطفال اذا بلغوا الحلم في جميع الاوقات وان لم يكن هذا من قبيل الزيارة التى معنا الا ان له بها تعلقا وارتباطا وشديد مناسبة

سوره	آية	
		(يايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) اى يايها الذين آمنوا لاتدخلوا عليكم مماليككم وخدمكم واولادكم الذين لم يبلغوا الحلم فى هذه الاوقات الثلاثة التي هى قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة حين تتجردون من ثيابكم من شدة حر الظهيرة وبعد العشاء الا باذن لان هذه الاوقات هي التى تكون فيها العورة اما فى غير هذه الاوقات فلا بأس ان يدخلوا بدون استئذان لانهم طوافون عليكم في الخدمة وقضاء حوائجكم الضرورية ولوازمكم المنزلية ويغتفر فى الطوافين بحكم الضرورة ما لايغتفر في غيرهم . اما الصبي اذا بلغ فلا تمكنوه من الدخول عليكم الا بعد الاذن والله اعلم

﴿ الادب فى المجالسه ﴾

هو ان يوسع لجليسه اذا اقبل عليه ولايضيق عليه وان يجلس بين يديه بغاية الادب والسكينة والوقار اذا كان اكبر منه سنا او علما وخصوصا ان كان اباه او شيخه وان يرحب به ويقبل عليه اذا حدثه وان لايمد رجليه بين يدي جليسه ولايضع رجلا على الاخري بحضرة من هو اكبر منه ان كان ذلك يغضبه ولايبصق ولا يتمخط الا فى منديل مواريا وجهه عن جليسه واذا تثاءب فعليه ان لايصحب التثاؤب بصوت وعليه أن يضع يده على فمه فان مخالفة ذلك ممايستقذره الناس

﴿ والى اكمل هذه الآداب واجملها واحسن هذه الاخلاق وافضلها اشار الله تعالى بقوله ﴾

المجادلة	١١	يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فافسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذا قِيلَ انشُزُوا فانشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَالَّذِينَ اوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ واللهُ بما تعملونَ خَبِيرٌ

﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ماادب الله به عباده المؤمنين وامرهم به من حسن المعاملة ورعاية الادب فى حق بعضهم فمن ذلك اذا كان جماعة فى مجلس وقدم عليهم آخر

سوره	آية	

او جماعة اخرى وفى المكان ضيق فعلي الجالسين ان يوسعوا للقادمين مسرعين فى ذلك لان ذلك يكون سببا للتوادد والتوافق والتحابب ونبذ التباغض والتحاسد وهذا ماافاده الله تعالى بقوله (ياايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) وقدوعد جل شأنه من تأدب بهذا الادب الكامل وتخلق بهذا الخلق الفاضل ان يجازيه من جنس ما عمله فيوسع عليه فى رزقه وصدره وقبره وفى منزله وفى الجنة وهو ما افاده الله تعالى بقوله (يفسح الله لكم)

هذا ما امر الله به من التوسعة في المجلس اما القيام منه للقادم كائنا من كان فهو غير جائز عند البعض فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليهم ولم يكن احد احب اليهم ولا امكن هيبة فى قلوبهم منه وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك

ولما كان الغرض من التوسعة في المجلس للقادم عليه غرس بذور المودة والمحبة فى قلوب المؤمنين ولا يكون ذلك الاحيث كانت التوسعة مصحوبة بشيء من الحفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه ومن ذلك أن ينهض مسرعا في التوسعة حث جل شأنه على النهوض للتوسعة للقادم فقال (واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) اى واذا قيل لكم للتوسعة فى المجلس للقادمين عليكم انهضوا فانهضوا واسرعوا فانكم ان فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والاخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لامر الله تعالى فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم ويرفع الذين اوتو العلم منهم خاصة درجات اعظم وارفع لانهم انما يفعلون مايؤمرون به عن بينة وقوة يقين وان لم تفعلوه بان كرهتم ان تتأدبوا بآداب الله واستعظمتم ان توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسبما امركم ربكم فان الله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية من اعمالكم من خير او شر فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا والله يتولى هدانا اجمعين

﴿ الادب في المحادثة ﴾

اعلم ان اللسان خطره عظيم ولا نجاة من خطره الا بتقييده بلجام الشرع ووقوف صاحبه عند الحدود والاداب التي أدبه بها الشرع وعلمه اياها في محادثاته ومخاطباته فلا يطلقه الا فيما ينفعه فى الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشي غائلته فى عاجله وآجله وذلك بان يعقله الا عن حق يوضحه او باطل يدحضه او حكمة ينشرها او نعمة يذكرها وان لا يتكلم الا بقدر الحاجة والضرورة وان لا يغالب احداً على كلامه واذا سئل غيره فلا يجيب هو عنه واذا حدثه الغير بحديث فلا يريه أنه عالم به وأن يكلم كل انسان

آية سوره

بما يليق به وان لا يتكلم الا اذا دعا داع الى الكلام دون ما لا داعى له هديان وان يجتنب فى محادثته ثلاثة اشيا وهى اعظم الاشياء خطراً على الانسان وأبغضها لله واقبحها عند الناس وهى الكذب والغيبة والنميمة وان لا يتكلم الا فيما يعنيه وان تباعد في حديثه عن كل ما يكدر مخاطبه وان لا يرفع صوته فى الكلام فوق صوت من هو اكبر منه فان ذلك كله مما ندب اليه الشرع وسلمه سليم الطبع

وقد ارشدنا الله سبحانه وتعالى الى ان هذه الآداب ونبها على احسن وجه واكمل حالة

فمن ذلك ما امر به جل شانه من الملاطفة فى القول والمجاملة فى الحديث ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من ايغار الصدور وتوليد الاحقاد وبذر بذور العداوه والبغضاء وذلك في قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ٥٣ الإسراء

﴿ ما ترشد اليه هذه الاية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من حسن الادب فى المحادثة والمخاطبة فقد امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأمر عباده المؤمنين ان يقولوا فى مخاطباتهم ومحاوراتهم ومحادثتهم الكلام الحسن والكلمة الطيبة فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وألقى بينهم العداوة والبغضاء لانه العدو الالد للانسان يتربص به الدوائر ويترقب له الفرص فى حصول الشحنا بين بعض افراده وبعض فالعاقل كل العاقل من لم يجعل للشيطان حظا من قلبه حتى يملكه من غرضه وينيله أمنيته ويحقق له رغبته والا يكون قد ملك نفسه لعدوه يفعل فيها كيف شاء وهو لعمر الحق فعل غير حكيم

(ومن ذلك قوله جل شأنه في الحث على خفض الصوت عند المحادثة لان فى رفعه تشويشاً على المستمع واذى له

وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩ لقمان

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما اوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة وحثه عليه من الادب فى المحادثة وأمره به من التلطف فى القول والناس وبه وبعدم تكلفه

سوره	آية	
		رفع الصوت به فان الجهر بالصوت باكثر من الحاجة يؤذى السامع ويضر به ولذا بلغ من القباحة والبشاعة ان يشبه رافعوه بالحمير وهو بصوت الحمير ولا جرم ان فى تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيها على ان رفع الصوت غاية في الكراهة ونهاية فى القباحة
		(وقال تبارك اسمه في النهي عن الغيبة)
الحجرات	١٢	وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ
		﴿ ما تفيد هذه الاية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الاية الكريمة الحث على تجنب الغيبة مع اظهار بشاعتها وشناعتها وانها من أذم الافعال وأخبث الاقوال واسوأ الاخلاق ولذا ترى الله جلت قدرته شبهها بأكل لحم الانسان وهو ذلك الامر القبيح الذى يعافه كل شخص وتنفر منه سائر الطباع ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من التشبيه بل جعل هذا الانسان الذى شبهت الغيبة باكل لحمه ميتاً وذلك أعظم فظاعة وأقبح شناعة لهذا قال جل شانه (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه) اى وحيث كرهتم اكل لحم الانسان وهو ميت فاكرهوا الغيبة لان عقوبتها اشد
		(ومن ذلك ايضاً قوله تعالى في النهى عن النميمة ونقل الحديث من قوم الى آخرين على وجه السعاية والافساد فيما بينهم)
ن	١٠	وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١١ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١٢ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
		﴿ ما يؤخذ من هذه الايات الكريمة ﴾
		يؤخذ من هذه الآيات الكريمة حرمة صحبة من لاخلاق لهم من الناس ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم وعدم طاعتهم فى كل ما يقولون أو يفعلون وهم الذين بينهم الله تعالى بقوله (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) أى لا تطع كل رجل كثير الحلف ولو بالصدق ولا كل رجل مهين أى حقير الرأى والتدبير لانه ربما أراد ان ينفع فيضر ولا كل رجل هماز اى عياب طعان لانه لا يعيب غيره ولا يطعن عليه الا للؤم فى طبعه وخسة فى اصله ولا كل رجل مشاء بنميم اى ناقل الحديث من قوم الى آخرين ليفسد بينهم ولا هم له الا الايقاع بين الناس والافساد بينهم والقاء بذور الشقاق والخصومات فيما بينهم وايغار الصدور وتوليد الشرور فمن مثل هذا تجب مجانبته

سورة	آية

وتحرم طاعته لان صحبته عرر وطاعته ضرر ولا كل رجل معتد اى متجاوز الحد في الظلم لانه لا يؤمن شره ولايؤمل خيره ولا كل رجل أثيم أى كثير الاثم والمعصية لانه لا خير فيه لنفسه فاولى لغيره

فهذه سبعة أوصاف ومنها النميمة قد نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المتصفين بها وهو تعليم لنا وارشاد لما يجب أن نتخلق به من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة او نتركه من الاخلاق الفاسدة والصفات الكاسدة

(ومن ذلك ايضاً قوله تعالى في النهي عن الكذب فى القول عند الحديث تحدث به اخاك)

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ٦٩ يونس

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى قبح الكذب وذم فاعله وذلك بما اخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح وكفى بأى صفة ذما ان تكون نتيجتها عدم الفلاح والنجاح

والايات القرآنية الواردة فىذم الكذب والكذابين وما لهم من العذاب الاليم والعقاب الشديد في الاخرة كثيرة لانكاد تحصى وفيما ذكر ما نغنى عن الاطالة والله ولي التوفيق

﴿ الادب في الاكل والشرب ﴾

اعلم ان من اهم الامور واوكدها الاعتناء بتربية الناشئة وتعويدهم على التخلق بالكمالات وخصوصا فى حال نشأتهم لانهم حين ذاك قابلون للتخلق بكل ما يعودون عليه فان عودوا على الخير وعملوه مرنوا عليه وأن عودوا علي الشر وعملوه نشؤا عليه بمصداق

وينشأ ناشيء الفتيان منا ÷ على ما كان عوده ابوه

وحيث ان اول مايغلب عليهم من الصفات شره الطعام فينبغى ان يؤدبوا فيه بان ينهوا عن كثرة الاكل ويبين لهم الاضرار التى تنتج منها وان يبين لهم انه لا يصح الاكل الا من الحلال الطاهر الخالى من كل شائبة حرمة بان كان من ربا او غصب او سرقة فان كان الطعام متحصلا بواسطة واحد منها حرم تعاطيه ووجب التباعد عنه وان يبين لهم ما اباح الله لهم الاكل منه من بيوت الاقرباء والاصدقاء وآداب الاكل في حالى الانفراد والاجتماع قبل الاكل وبعده حتى اذا نشؤا على هذه الآداب وتمرنت فيهم ملكة الاخلاق

سوره	آية	
		القاضلة فى الصغر تعودوها في الكبر واذا كانت هذه الاداب مستمدة من نور القرآن الكريم كان ذلك غاية المقصود ونهاية المأمول . ولنبين لك بعضا مما في القرآن الكريم من هذه الآداب والله المستعان
		(قال الله تعالى في النهي عن كثرة الاكل والشرب والاسراف فيهما و بغضه لذلك)
الاعراف	٣٠	وكُلُوا واشرَبُوا وَلاَ تُسرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسرِفين
		﴿ ما ترشد اليه هذه الاية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى ماعلمنا الله اياه من الطب وارشدنا اليه من الحكمة وهدانا اليه مما تصح به ابداننا وتقوى به اجسامنا وتطيب به معيشتنا وتهنأ به حياتنا من عدم الافراط فى الاكل والشرب والاسراف فيهما لان كثرة الاكل والشرب تفسد المعدة وتطفىء نارها وتضعف الجسم وتكثر الرياح في البطن وتصفر اللون وتضيق النفس وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن وينحط الادراك واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة فى الافكار خسر صاحبه بابا كبيراً من العبادات لان غاية المقصود من العبادات انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الاكل كما علمت مانعة منه
		فلهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الافراط فى الاكل والشرب والاسراف فيهما ولم يقف عند هذا الحد من النهى بل اخذ يتوعد ويهدد من خالف امر الله تعالى فاسرف فيهما فقال (انه لايحب المسرفين) اى يبغضهم وناهيك ببغض الله تعالى وعدم رضاه فانه داعية الهلاك وسبب كل المصائب واي عاقل يجرأ على ان يغضب الله تعالى مقابل ان يرضى نفسه باتباعها فى شهوة هي سبب هلاكه وداعية اسقامه وآلامه اللهم اعنا على انفسنا باستعمالها في كل ماتحب وترضي انك سميع الدعاء واسع العطاء
		(وقال جل ثناؤه في بيان ما احل الله اكله من الطعام وهو الحلال الطيب الطاهر وما حرم اكله منه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وما اباح تناوله مع كونه محرما للضرورة والاحتياج اليه مع عدم وجود غيره)
البقرة	١٧٢	يا أيها الذينَ آمنوا كلُوا منْ طيباتِ ما رَزَقناكُمْ واشكرُوا للهِ إنْ كُنْتم إياهُ تَعبُدُون ١٧٣ انمَا حَرَّمَ عَليكمُ المَيْتَةَ والدَّمَ ولَحْمَ الخِنْزيرِ وما اهلَّ بِهِ لغَيرِ اللهِ فمنِ اضطُرَّ غيْرَ باغٍ ولاَ عادٍ فلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما يمنه الله تعالى لعباده المؤمنين وامرهم به من الاكل مما رزقهم على شرط ان يكون حلالا طيبا وامرهم ان يشكروه علي هدايتهم لذلك وبينه لهم معالم دينهم وارشادهم الى الحل اكله والانتفاع لان ذلك من المنن العظمى والنعم الكبرى التي يجب الشكر لمسديها ان كانوا عبيده حقا وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (ياايها الذين آمنو كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون)

ولما امتن تعالى عليهم برزقه وارشدهم الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا (الميتة) وهى التى تموت من غير تذكية شرعية سواء كان موتها بخنق او بضرب او بسقوطها من اعلى الي اسفل او نطح اخرى لها او عدوان سبع عليها وقد خصص هذا العموم بغير ميتة البحر بقوله تعالي فى آية اخرى (احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم)

(والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى فى آيه اخرى (قل لااجد فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير

(ولحم الخنزير) سواء ذكى او لم يذك

(وما اهل به لغير الله) اى ذكر عليه اسم غير الله تعالى ومثله ما يقع من بعض الجهلاء من الذبح عند قبور موتاهم عند دفنهم فان ذلك محرم أكله ولا يجوز تعاطيه لانه مما أهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين المذبوح للوثن ومثله مايذرونه للمشايخ والاولياء والصالحين فيذبحونه لهم فان ذلك المذبوح حرام لا يجوز اكله لانه اهل به لغير الله حتى قال بعض العلماء ان الذبح لهؤلاء وامثالهم كفر وهو مما عمت به البلوى وعظمت به المصيبة لان عامة الناس فى ذلك واقعون ولحمه وحواره متعددون فلا حول ولا قوة الا بالله

هذا وبعد ان بين جل شانه أكل هذه الاربعة وانه حرام اخذ يبين ان ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة اما عند الضرورة والحاجة بان خاف التلف على نفسه ولم يجد ما يسد به رمقه غير احد هذه الاربعة فلا حرج فى ذلك ولا اثم على فاعله فقال (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) اى فمن اضطرته الحاجة الى أكل واحد من هذه الاربعة التى حرمها الله تعالى فلا أثم عليه ولاحرج فيا كله بشرط ان لا يحمله على اكله الا الضروره لا الشهوه وهو معنى (باغ) وان لا يتناول منه الا ما يدفع الضرورة ومتناول ما فوقها هو العادي فانه جل شأنه غفور لمن تاب اليه من عباده رحيم بهم حيث احل لهم الحرام عند الاضطرار واباح يسر كلامه عليم

سوره	آية	
	٢٧٥	ومما حرم الله اكله وحظر تعاطيه كل مال ينتجه الربا وفي ذلك يقول جل شأنه (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا) والآيات القرآنية الواردة في ذم الربا وآكله والمتعامل به بل وكل من كان له دخل فيه ككاتب عقد الوثيقة به والشاهد عليه وبيان أنه يخرب البيوت العامرة كثيرة وفيما ذكر ما يغنى عن الاطالة
		﴿ وقال تبارك اسمه في بيان ما اباح الاكل فيه من بيوت الاقرباء والاصدقاء والبيوت التى يملك التصرف فيها باذن من اربابها مجتمعين في الاكل او منفردين ﴾
النور	٦١	لَيْسَ على الأعمى حَرَجٌ وَلا على الاعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حرجٌ وَلاَ على انفُسِكُمْ أَنْ تأكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ أَوْ بُيُوت امهاتكُمْ أَو بُيُوتِ إِخوانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَواتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعمامِكُمْ أَوْ بُيُوت عمّاتكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ أَو بُيُوتِ خالاَتِكُمْ أَوما مَلَكتمْ مَفَاتِحهُ أَو صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عليكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تأكلوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً

﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة نفي الحرج والضيق عن الأعمى والأعرج والمريض في مؤاكلة غيرهم من الاصحاء الذين ليس بهم عاهة وتفيد ايضا ان لا حرج على الناس في ان يأكلوا من بيوت اقاربهم كآبائهم وامهاتهم واخوانهم واخواتهم واعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم أو البيوت التى يملكون التصرف فيها باذن من اصحابها كالوكلاء والخزان فانهم يملكون التصرف فى بيوت من اذن لهم بدخول بيته واعطاهم مفاتحه او بيوت الاصدقاء والاصحاب والاحباء فلا جناح في الاكل منها على شرط ان يعلم ان ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهونه ثم اشار جل شأنه الى بيان حكم آخر وهو جواز اكل الانسان منفردا أو معه غيره فقال (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او أشتاتا) اى مجتمعين او منفردين والله اعلم

﴿ أدب الولد مع والديه ﴾

اعلم ان أبا الانسان وامه لهما حقوق لا بد من ادائها وواجبات لا بد من قضائها منها مقابلتهما بكل ما يمكنه من البر والاحسان واستعمال الادب معهما وان يمتثل أوامرهما خصوصاً المتعلقة باحواله الشخصية التى تعود عليه بالمنفعة كاوامرهما المتعلقة بالادب وحسن

آية	سورة
٢٣	الاسراء

السلوك ومكارم الاخلاق وحسن المعاشرة مع صنوف الخلق وبالنظافة والعفة والامانة وغير ذلك من الكمالات وحميد الاخلاق وجميل الصفات وأن يجتنب نواهيهما وكل ما يؤذيهما او يكدر خاطرهما أو يستجلب غضبهما من قول او فعل — ومنها ان ينفق عليهما اذا كبرا لانهما السبب فى حياته وتربيته وكفالته الى هذا الحد الذى أمكنه فيه ان يكتسب فهذا الكسب ثمر غرسهما وليس من الأدب والمروءة ان يغرس انسان غرسا ثم يحرم من جنى غرسه علي انه مهما انفق عليهما فلا يوازى ما انفقا عليه لوجود الفرق بين الانفاقين فانهما كانا ينفقان عليه ويتمنيان بقاءه وهو ينفق عليها ويتمني وفاتهما — ومنها ان يجلس بحضرتهما فى غاية الادب والسكون فلا يضحك ولا يلعب كما يضحك ويلعب السفهاء وليكن ضحكه ولعبه على وضع لا يخل بالادب ولا يمد رجليه في مجالسهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا بحضرتهما ولا تعدمهما فى مشى الالحاحة ولا يتدرالـ ... قبلهما فى المجلس واذا اقبلا عليه أو احدهما وهو فى مجلس قام ليوسع لهما حتى يجلسا ان كان في المكان ضيق وبالجملة يفعل كل الوسائل التى تكون سببا فى مرضاتهما وزوال كل ما يكدرهما ويؤذيهما

﴿ وقد بين لنا الله جل شأنه في كتابه العزيز بعض ما يلزم لهما من الآداب والحقوق فقال ﴾

وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ٢٤ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿ ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الي اهم الامور واولاها بالعناية واجدرها بالرعاية واجلبها لرضاء الله تعالي وابعدها من سخطه ومقته الا وهو بر الوالدين الذى جمع من الخير أكمله ومن الاحسان اجمله ومن المروءة ارفعها ومن الخيرات انفعها وكفى به شرفا وفضلا ان قرنه الله تعالى بتوحيده وعبادته فى قوله (وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وبالولدين احسانا) اى امر امرا جازما وحكم حكما قاطعا بتوحيده وعبادته وبر الوالدين والاحسان بهما وفى هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما والعناية بشأنهما ما لايخفي ثم ضيق الامر فى مراعاتهما حتي لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات

سوره | آية

الضجر من احوال لايكاد يصبر الانسان معها فاذا حصل منها شيء يكرهه ولا يستحسنه فلا يصح له ان يتكلم معهما بأي كلام يكون من ورائه تضررهما وتكدر خاطرهما بل الواجب عليه في هذه الحالة ان يقول لهما قولا لينا سهلا جميلا باحسن ما يمكن التعبير به من لطف القول وكرامته مع حسن التأدب والحياء والاحتشام وخصوصا اذا كانا كبيرين فانهما في هذه الحالة أحق بالمجاملة وحسن التلطف والتعطف لانهما يظنان انهما عالة عليه فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة يتأثران منها وتنكسر قلوبهما من اجل ذلك ولذا خص الله سبحانه حالة الكبر بالذكر في قوله (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) أي ان كبرا وهما في كنفك وكفالتك فلا يصح ان تقول لهما اى قول يكدر خاطرهما ويستجلب غضبهما او يؤذيهما حتى ولا التأفف الذى هو ادنى مراتب القول السيء اذا حصل منهما ما لا يلائمك ولا يعجبك بل الواجب عليك بدل ذلك ان تعاملهما بالحسنى وتقول لهما القول اللين الطيب الحسن مع الادب والوقار والتعظيم والاحترام وان تخفض لهما جناح الذل وتتواضع وتتذلل لهما بجميع انواع التذلل والمسكنة لانهما صارا افقر الناس اليك بعد ان كنت أفقر الناس اليهما واحتياج المرء الى من كان محتاجا اليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة وزيادة التعطف

ثم ختم جل شأنه الوصية عليهما والحث على برهما والاحسان بهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة فقال (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) كأنه تعالى يقول له لا تكتف برحمتك التي لا تدوم ولكن اطلب لهما من الله الرحمة الدائمة وهي رحمتي وقل رب ارحمهما رحمة مثل رحمتهما وتربيتهما لى وأنا صغير والله اعلم

﴿ وقال تعالت اسماؤه فى الحث على بر الوالدين وخصوصا الام واتباعهما في كل ما أمرا به ما لم يكن معصية لله تعالي فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴾

لقمان | ١٤ | وَوَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا على وَهْنٍ وفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ ١٥ وَإِنْ جاهَدَاكَ على أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما في الدُّنْيا مَعْرُوفًا واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ الَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿ ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين ﴾

يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين وجوب بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا الام لانها تعبت فى تربيته وتحملت المشقات والمتاعب في ذلك وقاست

	آية	سوره
الشدائد فى سهرها عليه اناء الليل واطراف النهار حتى توالي عليها بسبب ذلك الوهن والضعف وهذا الذى اشار له الله تعالى بقوله (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين) اى حملته أمــه فى بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وزيادة على ذلك الضعف الذى تقاسيه في حال الحمل التعب الذى تقاسيه مدة تربيته وارضاعه بعد وضعه وهي عامان وهي مدة ليست بالقليلة فيجب عليه ان يشكرها ويقوم لها باعظم الخدمات واكبر المبرات جزاء ما تكبدته معه فيهما من المتاعب والمشقات ولذا يقول جـل شأنه (أن اشكر لى ولوالديك الىّ المصير) أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه ومن قام باداء هذا الشكر جازيناه اوفر الجزاء لان المصير والمرجع الينا — وما اعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين حيث قرن شكرهما بشكره ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين — وقد حد جل شأنه الحد الذى تجب طاعتهما ومتابعتهما فيه وامتثالهما في كل ما أمرا به أو نهيا عنه بان ذلك ما لم يكن فيه معصية الله تعالى فان كان الامر بمعصيته والنهي عن طاعته فلا حرج فى مخالفتهما ولا تعد مخالفتهما وعدم طاعتهما حينئذ عقوة لانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق الا أنه مع ذلك لا يصح ان يقطعهما ويمنع الاحسان اليهما وعمل المعروف معهما وهذا الذي أفاده الله تعالي بقوله (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) اى وان حرصا كل الحرص على ان تتابعهما على دينهما وتشرك بي فلا تطعهما ولا تقبل منهما ولا يمنعك ذلك من مصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف والاحسان اليهما والصدق عليهما		
ثم امر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع اليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال (واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) اي اتبع ايها المكلف من اقبل الى طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والاخلاص ثم الىّ مرجعكم جميعا في الآخرة فأخبركم بالذى كنتم تعملونه من خير او شر فأجازي كل عامل بما عمل اللهم اجعلنا ممن احسن عملهم وتقبلته منهم وجعلته خالصا لوجهك انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين		
﴿ وقال جل شأنه في الحث على بر الولدين بالانفاق عليهما وبيان أن أفضل الصدقات واعظم القربات التي يتقرب بها العبد الى ربه هي ما كانت للوالدين ثم لمن يلونهما ممن ذكرهم الله تعالي ﴾		
يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ	٢١٥	البقره

سوره	آية

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بر الوالدين والاحسان اليهما وأن أفضل شيء يتصدق به الانسان ويحسن به ويفعله من المعروف والبر والخير والصدقة هو ما كان للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد بين الله ذلك عند ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف ينفقون اموالهم وعلى من يصرفونها فقال له (قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) اى اصرفوها في هذه الوجوه وذلك لان الوالدين هما السبب في وجوده حتى امكنه ان يكتسب هذا المال وينفقه فهما اولى من يصرف اليهم المال واجدر بالتصدق عليهما من كل من عداهما ثم من بعدهم الأقربون لان الانسان لا يمكنه ان يسع جميع الفقراء بصدقته واحسانه فتقديم القرابة اولى من غيرهم ثم من بعدهم اليتامى لانهم لا كسب لهم ولا لهم من يقوم بأودهم ويتكفل بمصالحهم فهم لذلك اولى بالاحسان اليهم بعد الوالدين والاقربين ثم من بعدهم المساكين المحاويج الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم فهم اولى بالتصدق بعد من ذكروا ثم من بعدهم ابن السبيل والمراد به المسافر الذى فرغ زاده وبينه وبين غرضه مسافة تحتاج الى المؤنة فينفق عليه ما يبلغه الى مقصده

فانظر الى هذا الترتيب المعجب في بيان كيفية الانفاق وما احسن تعقيب ذلك بعبارة الترغيب والحث على الانفاق بلطف وذلك من قوله (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) اي فيجازيكم عليه اوفر الجزاء لانه لا يظلم احداً مثقال ذرة ولا شك ان من ايقن بالخلف جاد بالعطية

﴿ خاتمة ﴾

اعلم ان بر الوالدين لا يختص بكونهما حيين فقط بل يكون بعد الموت ايضاً ويكون ذلك بالصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وودّه وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه فقال يارسول الله هل بقى علىّ من بر ابوىّ شئ ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما

ولئن تأكد بر الوالدين فهو في حق الام أوكد لانها تعبت فيه وفي تربيته وحضانته وغيرها اكثر من ابيه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم (بر الوالدة على الولد ضعفان)

سوره	آية	

﴿ صلة الرحم ﴾

رحم الانسان اقاربه وصلتهم ان يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف او يقضى عنهم دينا او يفرج عنهم غماً او يقضي لهم ما يحتاجون اليه ان كانوا فى احتياج الى ذلك ويتودد اليهم بالزياره والهدايا والطيب من القول والبشاشة عند اللقاء والمبادرة بالسلام والمحافظة على فعل كل ما يجلب محبتهم ان كانوا اغنياء عن ذلك كله وهي من افضل الخصال واجل الخلال فيها يكثر التواصل والتوادد وتؤمن الغوائل ويزول التباغض والتحاسد وتستمال القلوب وتلتئم الشعوب وتغفر الذنوب وتصفو الضمائر وتحسن السرائر وتنتظر الرحمة وتستدام النعمة ولما اشتملت عليه من هذه الثمار اليانعة والفوائد النافعة حث الشرع عليها وبالغ فى التمسك بها حتي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا فى ادرار الرزق وسعته وفاتحة الخير وزيادته فقال (ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم) ولعل حكمة حث الشرع عليها والتشديد فى امرها والترغيب فيها والتحذير من قطعها ومجانبة ذلك جهد الاستطاعة ان اقارب الرجل هم اكثر الناس بعد ابويه له تناصرا ورغبة في الخير له واشدهم شفقة عليه واعظمهم محبة له بهم يعلو بين الانام قدره ويعظم فخره ويرتفع ذكره وهم اكثر الناس به اختلاطا فاذا قطعهم تنغص عيشه وكثر شره وقل خيره ولان الاقارب ابعاض الوالدين ومنهما نشؤا او اختلطوا معهما في نسب فكل هذه حقوق وأسباب تحتم على الشخص ان يصلهم بقدر جهده واستطاعته

﴿ قال الله تعالى في الحث على صلة الرحم وبرها والنهى عن حرمانها وقطعها قارنا ذلك بالامر بتقواه ﴾

النساء ١ يا أيُّها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ منهُما رِجالاً كَثِيرا وَنِساء واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَساءلونَ بِهِ والأَرْحامَ إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيكُمْ رَقيبا

﴿ ما تشتمل عليه هذه الاية الكريمة ﴾

تشتمل هذه الآية الكريمة على امرين

(الاول) ما أرشد الله اليه خلقه من تقواه وهى عبادته وحده لا شريك له منبها لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحده وهى آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهى حواء عليها السلام وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في اقطار العالم علي

سوره	آية	
		اختلاف اصنافهم واوصافهم والوانهم ولغاتهم ولا شك ان خلقه تعالى لهم بهذه الكيفية من اقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته ومن اتم الزواجر عن كفران نعمته فقوله تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) الاية فى قوة العلة للامر بالتقوى فكأنه قال يا ايها الناس اتقوا ربكم لانه خلقكم من نفس واحدة الآية (الامر الثانى) الحث على صلة الرحم وبرها وعدم قطعها وهذا الذى افاده الله تعالى بقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به الارحام) اى واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به وذلك يكون بطاعتكم اياه واتقوا قطع مودةالارحام فان قطعها من اكبر الكبائر وصلتها باب لكل خير فتزيد فى العمر وتبارك فى الرزق ولذا وصل جل شانه تقوى الرحم بتقواه وما احسن ما ذكرالله من دواعي الحنو والعطف والشفقة والرحمة بالأقارب واستمالة القلوب اليهم حتى يصلوهم ولا يقطعوهم حيث ذكرجل شأنه أن اصل الخلق من أب واحد وأم واحدة فان فى ذلك من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة حقوق الاخوة مالا يخفي وقوله تعالي (ان الله كان عليكم رقيبا)أى مطلعا وعليما فيعلم من امتثل امره بتقواه وصلة الرحم ومن لم يمتثل فيجازى كلا بما يستحق ﴿ وقال جل ذكره فى النهى عن قطع الرحم مع بيان ما يترتب علي ذلك من العقاب الشديد والعذاب الاليم والخسران المبين ﴾
البقرة	٢٧	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾ ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماأعده الله من النكال الشديد والعذاب الأليم والخسران المبين لمن اتصفوا بهذه الاوصاف الرذيلة وتخلقوابهذه الاخلاق القبيحة الوبيلة وهى ـ نقض العهد بعد ماأخذ الله عليهم الميثاق به وهو كل ماأمر الله به ونهى عنه في كتبه على ألسن رسله الكرام ونقضه عدم العمل به ـ وقطع الرحم التيأمر الله بها ان توصل ـ والفساد فى الارض بارتكاب كل معصية يتعدي ضررها ويطير فيالآفاق شرورها ولذا يقول الله تعالى في حقهم (اولئك هم الخاسرون) اى الناقصون انفسهم حظوظها من رحمته بمعصيتهم له كما يخسر الرجل فى تجارته بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه فكذلك هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف القبيحة قدخسروا بحرمان الله تعالى لهم من رحمته التى خلقها لعباده والله اعلم

﴿ وقال تبارك اسمه فى الحث على صلة الرحم وبيان أن ذوي القرابات في ايصال الخيرات لبعضهم اولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة	آية	سوره
واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شئ عليم	٧٥	الانفال

﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الاقرباء بعضهم على بعض وأنهم أولى من غيرهم في تأدية هذه الحقوق لهم فمن ذلك انهم يرثونهم دون غيرهم وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم آخى بين اصحابه فكان المهاجري يرث الانصاري دون قرابته وذوى رحمه للاخوة التي آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فانزل الله هذه الآية لتخصيص الاقرباء بالميراث دون غيرهم من الاجانب لانهم اولي ببعضهم من غيرهم وذلك منه جل شأنه حث على نفعهم وايصال الخير لهم وصلتهم ولعل حكمة ذلك والله اعلم ان الاقرباء ادخل في التناصر والتعاون من غيرهم فلذلك كانوا اولى ببعضهم من غيرهم في التمتع بما يتركه المتوفي من الاموال فما ابعد نظر الشريعة الغراء واعلمها بالمصلحة العباد ولا عجب فانه جل شأنه عليم بكل شيء ومن ذلك مصالح العباد ومضارهم فيشرع لهم ما فيه مصلحة لهم ومنفعة ويعفو عما فيه مفسدة لهم ومضرة ومن ذلك التوارث بمقتضي القرابة دون التوارث بمقتضي الايمان والاخوة في الدين

﴿ الاتحاد والاخاء وما يترتب عليهما من المودة والولاء ﴾

اعلم ان الاتحاد وارتباط القلوب ببعضها وتضافرها على امر واحد واجتماعها على كلمة واحدة من اهم اسباب السعادة واقوي دواعي المودة والمحبة وكم به عمرت بلاد وسادت عباد وانتشر عمران وأسست ممالك وسهلت مسالك وقويت شوكة وتمت نعمة وأمنت غوائل وكثر تواصل الي غير ذلك مما لا يمكن عده ولا حصره وحده — علم ذلك الشارع الحكيم العليم بمصالح العباد وما تكون فيه سعادتهم فحث على الاتحاد والالفة وبين ما يترتب على ذلك من جليل المنافع وعظيم الفوائد ولم يكتف بذلك بل حض على الاجتماع الذي هو اعظم الوسائل وامتن الاسباب فيه ودعا اليه فى اغلب العبادات فشرع الجمعة والجماعات والعيدين والحج ليكون من وراء ذلك اجتماع المسلمين كلهم في يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضا واحدا يتبادلون فيه أنواع التحية ويتصافحون ويتعانقون ولا غرض للشارع الحكيم من ذلك كله الا ان يرشد عباده كيف يتحدون ويجتمعون ويتعاونون وقد آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه حتى كان احدهم يرث الاخر دون

سورة	آية	
		قراباته وذوى رحمه وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم مع قلة عددهم وعدَدهم وكثرتها عنده فدوخوا الممالك وافتتحوا البلاد ومصروا الامصار ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وسهلوا المسالك

ثم اعلم انه ليس كل اجتماع ينشا عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة تدوحها بل الممدوح الاجتماع الذي يكون فيه فوائد دينية واعمال مرضية كالاجتماع في العبادات وطلب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية أما الاجتماع للفسق واللهو وغيرهما من انواع المنكر فهذا لا فائدة فيه الا الاثم على انه قلما يأتي مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر فكم من متحابين كانت محبتهما نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات ولم يلبثا ان افترقا وتباغضا لانه ليس لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبني عليه فهو اسرع الاشياء للزوال واقربها للاضمحلال * ولما للاتحاد من عظيم المنفعة وجليل الفائدة حث الله عليه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم

(فمن ذلك ما قاله جل شأنه في سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم بكونه الف بين قلوبهم وجمع شتات شملهم ووحد جامعتهم وهو)

سورة	آية	
آل عمران	١٠٣	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى فضل الاتحاد وعظيم المنة به على العباد وما تفضل الله به عليهم من عظيم المنة وجزيل النعمة حيث جمع قلوبهم بعد الشتات ووحد كلمتهم بعد الافتراق ومنحهم التحابب والتوادد بعد التباغض والتحاسد وصاروا اخوانا احباء بعد ان كانوا اخصاما الداء ولذا اخذ جل شأنه بعد ان امرهم بالاعتصام بحبله وتمسكهم بدينه ونهاهم عن التفرق فيه وعدم الائتلاف والسعي فيما يجلب الشقاق والاختلاف يذكرهم نعمته عليهم بانهم كانوا اعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا لايهنأ لهم عيش ولا تصفو لهم حياة فالف بين قلوبهم فصاروا بعد هذه الاعمال الشنيعة والافعال القبيحة اخوانا أحباء مجتمعين مؤتلفين متحابين يساعد بعضهم بعضا ويود احدهم لاخيه ما يود لنفسه فقال (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وهذا الخطاب في النظم الكريم للانصار رضوان الله عليهم فانه كان بينهم في

آية | سورة

الجاهلية احقاد وضغائن وعداوة شديدة طال بسببها قتالهم ودامت حروبهم ولم يكن بينهم وبين النار الا ان يموتوا كفارا فلما جاء الاسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا اخوانا متحابين متواصلين وذلك من اكبر النعم واعظم المنن ولذا أمرهم الله تعالى بتذكرها ليكون ذلك داعيا لشكره علي احسانه اليه وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

(ومن ذلك ايضا ما قاله تبارك اسمه في بيان ان التنازع والتفرق في الكلمة والرأى سبب الضعف والخذلان والفشل في جميع الازمان وهو)

ولا تَنَازَعوا فتفشَلوا وتذهبَ ريحكمْ واصبِرُوا إنَّ اللهَ معَ الصَّابرِين ٤٧ الانفال

﴿ ما ترشد اليه هذه الاية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما نهي الله عنه عباده المؤمنين عند مقاتلة الاعداء من التنازع والاختلاف في الكلمة والرأى مبينا لهم المضار التى تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان وتمكن العدو من الوقيعة بهم وانتصر عليهم وذلك لان اختلافهم في الرأي يحل من عزائمهم ويضعف من قوتهم ويثبط من همتهم فاذا حمل عليهم العدو قابلوه بقلوب خائرة وعزائم فاترة وهمم كليلة وقوة ضئيلة فينال منهم العدو مالا يمكن ان يناله مع الاتحاد ولانهم بتنازعهم وتخاذلهم وضعف هممهم قد أضافوا الى العدو قوة بقدر الفتور الذى حصل في عزائمهم والنقص الذى وجد في قلوبهم فبعد ان كانوا عونا عليه صاروا عونا له ومن الغريب انهم على انفسهم فما احسن ما ارشد الله اليه عباده

ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافيا فى قمع العدو والنصرة عليه بل لابد معه من استصحاب جميل الصبر نبه الله جل شأنه بوجوب استصحابه مع ذلك فقال (واصبروا ان الله مع الصابرين) اى معينهم وناصرهم

ثم اعلم ان القتال ليس بشرط في النهي عن التنازع بل التنازع في كل شيء مجلبة الفساد وداعية الدمار فكم شاهدنا من عائلات كبيرة كانت في رغد من العيش وبيوت كثيرة كانت آهلة باهلها حتى اذا دبت فيهم عقارب التنازع وسرى سمها فى قلوبهم واخذ منهم الشيطان مأخذه تفرقوا شذر مذر واصبحت بيوتهم خاوية علي عروشها وما ظلمهم الله ولكن الناس انفسهم يظلمون

﴿ وقال جل ثناؤه في الحث على الاتحاد والائتلاف تحت جامعة الدين ﴾

قُلْ يا أهلَ الـكِتَابِ تعالَوْا الى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبينكُمْ ألاَّ نَعبُدَ إلاَّ ٦٤ آل عمران

اللهَ ولاَ نُشرِكَ بهِ شَيئاً ولا يَتَّخِذَ بَعضُنا بَعضاً أرباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَانْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُون

﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ما امر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام من ان يدعو اهل الكتاب وهم اليهود والنصاري الى الاقبال اليه والتعويل عليه وذلك باسماعهم واتفاقهم واتحادهم مع المسلمين على كلمة مفيدة بحيث تستوى الكل فى استماعها والعمل بها وتلك الجملة هى ان لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا لاوثنا ولاصنما اولاصليبا ولا نارا ولا غير ذلك مما يعتقدون انه شريك لله تعالى — وان لايطيع بعضهم بعضا فى معصية الله تعالى فان فعلوا ذلك وقبلوا هذه الدعوة التى هى دعوة جميع الرسل كما قال الله تعالى (ومارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لااله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فوحدوا الله تعالى واخلصوا له في العبادة فقد فازوا بالسعادة ومنحوا رضوان الله عليهم وان تولوا واعرضوا عنها فاشهدوهم انتم على استمراركم على الاسلام الذى شرعه الله لكم ودعوتهم وانتم مسلمون

﴿ الاستقامة ﴾

الاستقامة وفقنا الله اليها هى الاعتدال في جميع الامور من الاقوال والافعال والمداومة على جميع الاحوال التي تكون بها النفس على افضل حاله واكملها فلا يتغير من فيها ولا يتوجه اليها ذم ولا لوم وذلك انما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف والتمسك بالدين والوقوف عند حدوده والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة باجتناب المحارم والتعفف عن الآثام ولين الجانب والصدق وانجاز الوعد وبذل النصيحة لخلق الله تعالى والشفقة عليهم واسداء الاعانة لمن ائتمنه منهم وكف اليد واللسان عن اذيتهم و [illegible] الشجاعة والعفة والورع وغير ذلك من كل شيء يحمل على صلاح والدين والدنيا وتوصل الى شرف الممات والحياة ولعمر الحق انها لمن افضل الخصال واجمل الخلال لانها [illegible] وبها تكسب الفضائل وتسلب الرذائل وتحمد العقبى [illegible] ولو لم يكن لها من المحاسن الا اسمها لكفاها

﴿ وقد اثنى الله على المستقيمين وبالغ فى اكرامهم ومنحهم اعظم مايتمناه [illegible] الامن وقت الفزع الاكبر وعدم الخوف والسرور برؤيتهم ما اعده لهم من النعيم الدائم والخير الذى لايزال

سوره	آية	
فصلت	٣٠	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٣١ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣٢ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ

﴿ ماترشد اليه هذه الايات الكريمة ﴾

ترشد هذه الايات الكريمة الى اعظم الامور قدرا واجلها فخرا وذكرا واكبرها مثوبة لدي الله تعالى واجرا الا وهو الاستقامة على طاعة الله تعالى والوقوف عند حدوده والارتباط بحفظ مواثيقه وعهوده والائتمار باوامره والاجتناب لنواهيه ومحارمه حتي لايراه حيث نهاه ولا يفقده حيث امره فان الله تعالى قد منح صاحبها من الخير اكثره ومن الاجر والثواب اعظمه واكبره فنزل عليه الملائكة ٠ فى حال حياته عند حلول الملمات به ونزول المصائب عليه بما يشرح صدره ويدفع عنه الخوف والحزن ٠ وعند الموت تقول له لاتخف مما قدمت عليه من امر الاخرة ولاتحزن على ما خلفت من امر الدنيا من ولد واهل ومال فانا نخلفك فيه ٠ وفى القبر تؤمنه مما فيه من الاحوال والاهوال وتؤنسه فيه من الوحشة وحين يبعث تؤمنه مما يشاهده من الهول الجسيم والخطب العظيم الذى تشيب له الولدان وتسكن روعه من هول ذلك اليوم العظيم وتبشره بالجنة التي وعد بها على السن رسله الكرام وفيها من جميع ما تختاره النفوس وتشتهيه ومهما طلب من اي شيء فيها يجده حاضرا بين يديه كل ذلك يفعله الله تعالى به ضيافة وعطاء وانعاما منه عليه جزاء استقامته وملازمة طاعته وعبادته فما اعظم هذا الخير وما احسن مايوصل اليه رزقنا الله الاستقامة ومنحنا من واسع فضله جزيل العطاء وحسن الكرامة آمين

﴿ وقال جل ثناؤه فى ان الاستقامة خير كلها وانها تجلب الخير وتوسع الرزق ﴾

سوره	آية	
الجن	١٦	وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا

﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما اعده الله تعالى للمستقيمين وما يمنحهم اياه من واسع فضله وجزيل عطائه من الخير الجامع والرزق الواسع جزاء استقامتهم علي طريقة الاسلام وطاعتهم لله تعالى واخلاصهم له فى العبادة وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (وان

سوره	آيه	
		لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) والا يات غير ذلك كثيرة وكفي بهذا عظة لمعتبر وعبرة لمتدبر والله ولى التوفيق

﴿الثبات فى الاعمال وقوة العزيمة فيها﴾

اعلم ان الثبات في الاعمال يكون بالمثابرة عليها ومقابلة الاهوال والمشقات والصعوبات التى تعرض له فى أثناء سعيه وراء النتيجة المقصودة له من تلك الاعمال بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى يحصل عليها وينال أمنيته منها فاذا عرض له ما يظن معه صعوبة الوصول الى النتيجة المطلوبة له فلا يكون ذلك حائلا دون الاستمرار في العمل فانه لا صعب مع الاجتهاد وتوجه النفس والرغبة في ذلك الشيء المطلوب كل ذلك مع تدقيق النظر والفكر والتؤدة فى العمل وتخير الوقت المناسب والحالة المناسبة وعدم الميل الى جانب الافراط فانه ممل ومتعب ولا الى جانب التفريط لعدم نجاح العمل معه فيعمل بمقدار ما ينبغى فى الزمن الذى ينبغى فى الحالة التى تنبغى

فمن لازم الثبات بهذه الكيفية وجعله أساسا فى سائر أعماله ووجهته فى كل عمل يعمله كانت السعادة احدى حظيانه والنجاح أسير خطواته والفلاح قرينه والعز بيتا هو قطينه ومن استفزته الاهواء وطوحت به الحوادث فاشتغل كل يوم بعمل وكد غير حكيم واجتهد غير عليم فلا شك انه لا يجني غير الشقاء والتعاسة والعناء بدون ثمرة تعود عليه أو فائدة ترجع اليه

(ولما كان الثبات في العمل وقوة العزيمة فيه من أجل ما يوصل الامة الى سعادتها الحقيقية وقانونا للنجاح فى سائر الاعمال ومن أعظم الدعائم التى تأسست عليها سعادة الامم حث الله تعالى عليه وبالغ فى الوصية به فقال جل ثناؤه في الحث على الثبات وقوة الجأش وعدم تزعزع العزيمة وقت القتال)

سوره	آيه	
الانفال	٤٦	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

﴿ مايؤخذ من هذه الآية الكريمه ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ما علمه الله لعباده المؤمنين من آداب لقاء العدو وقت اشتباك القتال وطرق الشجاعة عند مواجهة الاعداء وبيان الوسائل التى يكون بها الظفر والنصر فبين ان من أهمها أمرين (الاول) الثبات وهو مقابلة الاعداء بجأش ثابت لا يهاب الموت ولا يؤثر فيه الوهم ولا يتخلله الخوف ولا تزعزعه الاراجيف ولا ركض

سوره	آية	

الخيل ولا قراع السيوف ولا اشتباك الكتائب وذلك انما يكون اذا كان القلب ثابت الايمان عظيم الثقة بالله تعالي معتقدا انه لاموت حيث كتب الله الحياة ولا حياة حيث كتب الله الموت فاذا وصل ايمانه الي هذا الحد من اليقين لا جرم كان ذلك من أكبر دواعي الثبات الذى هو من أعظم اركان الظفر والنصر على العدو أما اذا كان غير قوي الايمان فتنفذ في قلبه سهام المخاوف فتنحل عرى عزيمته ويضعف قلبه فاذا تحرك اى حركة تنسم منه العدو الخوف والضعف فيزيد ذلك في قوة عدوه ويجدد من عزيمته بقدر ما نقص في قوته وعزيمته فيكون عونا له على نفسه بعد ان كان عونا لها عليه وهناك تكون الطامة العظمى والخطب المدلهم (الثانى) ذكر الله تعالى في مواطن الخوف بدعائه وطلب الاستغاثة به والمعونة منه فان ذلك مع مافيه من تذكر الله فى أعظم مواطن الخوف وعدم اشتغاله عنه فى هذه الحالة بشاغل فيه من الدلالة على كمال الايمـان وثبات القلب ما لا يخفى فلا يحرم من الله اذن المعونة والنصر والظفر ولذا يقول جل شأنه (لعلكم تفلحون) أى لعلكم ان قابلتم العدو بقلب ثابت وذكرتم الله تعالى وطلبتم منه المعونة واستنصرتم به تفلحون وتفوزون بمرادكم من عدوكم

ولئن كان الثبات فى القتال الذى هو اعظم مواطن الخوف مطلوبا مؤكدا فهو فى غيره أوكد

(وقال جل ثناؤه في الحث على الثبات وقوة العزيمة فى الامر وعدم التردد في امضائه عند العزم علي فعله)

آل عمران ١٥٩ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمه ﴾

يستفاد من هذه الآية الكريمة الحث على الثبات في الامر وقوة العزيمة فيه وعدم التردد في امضائه عند العزم على فعله مع الاعتماد علي الله تعالي فى انفاذه وامضائه وتفويض الامر فى تخير مافيه المصلحة له لانه جل شأنه هو الاعلم بالاصلح وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فاذا عزمت فتوكل علي الله ان الله يحب المتوكلين) أى فاذا قصدت امضاء أمر وصممت العزيمة عليه فافعله مع تفويض الامر لله تعالي والاعتماد عليه فيه ليكون ذلك أنجح لطلبتك وأتم في نوال مقصودك لانه جل شأنه يحب من توكل عليـه ووثق به وفوض الامور اليه فيرشده الى ماهو خير له كما تقتضيه المحبة

ثم اعلم ان أصل التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به في فعل ما يحتاج

سوره	آية	
		امر ان يدعو اليه كما بين ان ذلك من النعم الكبرى والمنن العظمى التى يجب في مقابلتها الشكر بتنزيهه جل شأنه عما لا يليق به من الصفات والافعال واتصافه بما يليق من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال وهذا الذى اشار له الله تعالى بقوله (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا) اي عالما باحوالنا وما دعوناك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسيم الرسالة وقد اجاب الله سؤله عليه السلام كما افاده بقوله (قد أوتيت سؤلك ياموسي) والله اعلم

﴿ حب العمل وفضيلة الاجتهاد ﴾

اعلم ان كل انسان فى هذه الحياة مطالب بان يعمل اما لنفسه ليحيا حياة طيبة ويعيش عيشة راضية واما لاهله وعشيرته وبلده وأهل وطنه ليتم بينه وبينهم تبادل المنفعة والمشاركة في كل عمل يحفظ لهم ناموس وحدتهم واما لمن يأتي بعده ليهيء لهم ما يتخذونه أساسا يشيدون عليه بناء هيأتهم فاذا قصر فى مطلب من هذه المطالب كان عضوا في جسم الهيئة الاجتماعية فاسدا يجب قطعه خشية سريان العدوى منه الى غيره من بقية الاعضاء

لذلك جاء الاسلام وقرر فيما قرر من مبادىء السعادة الدنيوية الموصلة للسعادة الاخروية وجوب العمل والكسب والسعي والكد والجد والنشاط وبغض العجز والكسل والخمول والتقاعد وعدم النشاط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسعوا فان السعى كتب عليكم) وقال عليه الصلاة والسلام (أعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على العمل والكسب والحاثة عليهما والمرغبة فيهما

اذا علمت ذلك علمت ان ما يتشدق به بعض الحمقى الشبطين للهمم من قولهم ان الرزق مقسوم وان السعي لا يجلب للعبد رزقا ليس له وان البطالة لا تحرمه رزقا هو له خبل محض وجنون صراح ألم يعلم هذا المثبط الاحمق أن هذا السعى محقق لعلم الله السابق وهل قسم الله الرزق وعطل الاسباب في تحصيله ولم يجعل فى تركيب بنية الانسان استعدادا لطلبه ولم يمنحه الامل ليثبطه عن العمل (كلا) فان ما جاءت به الشريعة الاسلامية ويقتضيه العقل السليم يناقض ذلك فان الله جلت قدرته قسم رزقه بين عباده على حسب تفاوتهم في الجد والنشاط فمن كان جده أكثر كان حظه أوفر والعكس بالعكس الا من عساه ان يغمره الله بواسع كرمه ويفيض عليه من صيب جوده مع عدم اخذه فى الاسباب والسعي او مع اخذه فيهما ولكن من الوجوه التي ليس من شأنها النماء والزيادة فان مثل هذا لا يصح ان يكون موضع بحث او من مقاصد الشرائع النبيه على مثله والا فاي مقصد

سوره | آية

لاهم له الا الكسل والخول صار ذا ثروة طائلة او رزق واسع وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله ليعطى العبد على قدر همته ونهمته) وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا مثالا للنشاط والجد والاجتهاد وما سمعنا عنهم يوما انهم جلسوا فى بيوتهم اتكالا على ان الرزق مقسوم مع انهم كانوا اكثر الناس واشدهم يقينا واعظمهم وثوقا بالله وبما عند الله بل قاموا وكافحوا وناضلوا وتاجروا وسافروا وسعوا وكدوا وجدوا وحسبك ما قاموا به من الاعمال الجليلة والفتوحات العظيمة وما اظهروا فى ذلك من الجد والنشاط حتى مدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وبلغوا فى مدة ثمانين سنة من الملك وسعة السلطان وامتداد دائرة النفوذ ما لم تبلغه أية دولة فى العالم

واليك اوامر الله تعالى واحكامه في كتابه الكريم تنبئك ما امر الله به من الجد والنشاط في العمل وما نهي عنه من البطالة والكسل

(قال الله تعالى في الحث على العمل وما علمه لنبييه داود وسليمان عليهما السلام من صنعة الحدادة وعمل الدروع وصنعة البناية وعمل التماثيل والصور والقصاع وصب النحاس وعمل القدور الكبيرة منه بواسطة الجن وامر بالشكر على تمايمه هذه الصنائع)

سبأ ١٠ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ١١
أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٢
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ
مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ ١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

﴿ ماترشد اليه هذه الايات الكريمة ﴾

ترشد هذه الآيات الكريمة الى مامنحه الله نبيه داود وسليمان عليهما السلام من الفضل وما علمهما من الصنائع والحرف وما سخر لهما من الجبال والطير والريح والجن فأعطي داود من الفضل أن سخر له الجبال تسبح معه اذا سبح وترجع بصوتها عند تسبيحه والطير يكلمه علي اختلاف أنواعه وتباين لغاته وألان له الحديد حتي كان يفتله بيديه مثل الخيوط يعمل منه دروعا سابغات اي كاملات واسعات وارشده الي كيفية عمل هذه الدروع

سوره	آية	
		فقال (وقدر فى السرد) والسرد جعل حلقات الدرع متسقة منتظمة محكمة متقنة وفيه ارشاد الى ان الانسان اذا شرع في اي عمل من الاعمال عليه ان يحكمه ويتقنه
		.واعطى سليمان عليه السلام الريح طوع امره يصرفها كيف شاء مع سرعة سيرها الزائد حتى كان جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك ـ وأذاب له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام فيعمل منه ما شاء وسخر له الجن يعملون بين يديه ما شاء سواء كان ذلك من لوازم المسكن كالمحاريب وهى الابنية الرفيعة والقصور العالية والتماثيل وهي الصور سواء كانت من نحاس او رخام او زجاج او غير ذلك او من لوازم الاكل كالجفان التى كالجواب اى القصاع الكبيرة التي هى كالحياض العظام التى تشرب منها الابل وكالقدور الراسيات اى الثابتات التي لا تحرك ولا تحول عن اماكنها لعظمها والقدور جمع قدر وهى ما يطبخ فيه .ـ ولا يمكن لاحد منهم مع ذلك ان يخالف ومن يخالف ولم يطعه عليه السلام فيما امره به من العمل فان الله سبحانه وتعالى يذيقه من عذاب السعير وهو الحريق
		ولما كان هذا التسخير وذلك الاعطاء من المنن العظمى والنعم الكبرى التى يجب شكرها امر الله جل شأنه سليمان ان يشكره فقال (اعملوا آل داود شكرا) اى على ما انعمت به عليكم (وقليل من عبادى الشكور) وهو الذى يشكره تعالى على احواله كلها
		﴿ وقال جل شأنه حاكيا مقالة قوم قارون له لما فيها من الحث على ان الانسان يعمل للاخرة ولا يترك من اعمال الدنيا ما يوصله للاخرة ﴾
القصص	٧٧	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الاية الكريمة الى ان الانسان عليه ان يشتغل بامر الاخرة و مايوصل اليها ولا ينسى نصيبه من الدنيا بل يعمل لدنياه كما يعمل لاخرته فيؤدى ما عليه من الحقوق نحو جسمه فيدبر له المأكل بالسعي وراء اسبابه وكذا المشرب والملبس والمركب وغير ذلك من لوازم حياته البشرية التى لا قوام له الا بها ولذا يقول جل شأنه (ولا تنس نصيبك من الدنيا)
		ولما امره اولا بالاحسان بالمال امره ثانيا بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال

سورة	آية	

والجاه وطلاقة الوجه وحسن المعاملة مع صنوف الخلق فقال (واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) اى احسن الى خلقه بصنوف الخير والبر ولا تكن همتك بما انت فيه أن تفسد في الارض وتسيء الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين

﴿ التكافل العام لجميع المسلمين ﴾

هو أن يكون جميع المسلمين كجسم واحد وكل فرد منهم كعضو من أعضاء ذلك الجسم يألم الكل لألم الفرد الواحد ويفرح الكل لفرحة ويسعي الفرد الواحد فى مصلحة الكل ومايعود عليهم بالخير والسعادة كما يسعي الكل في مصلحة الفرد وهذا الذى اشار له الله تعالى بقوله (انما المؤمنون اخوة) فان معني الاخوة لايتحقق فيهم الا اذا كانوا متكافلين متضامنين والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكي عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمي والسهر) ولعمر الحق ان هذا لباب كبير من علم الاجتماع اذ من المقرر فيه ان الناس مدنيون بالطبع أى لابد لهم من الاجتماع والمخالطة لان الفرد الواحد لا يمكن أن يستقل بجميع حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع والمبادلة ولايتحقق معني الاجتماع الا بهذا التكافل اذ لو استقل كل فرد بمنفعته الذاتية ورأى ان منفعته ليست منفعة لغيره وان منفعة الغير ليست منفعة له جرّ ذلك الى قطع المبادلات ونبذ المعاملات التى لا قوام للحياة الا بها . أدرك ذلك الشارع الحكيم والسيد العليم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكان اول عمل له بعد مهاجرته الى المدينة أن آخى بين الانصار والمهاجرين فكان الانصارى يشاطر المهاجرى فى ماله وكل شيء هو له حتى زوجاته فكان من نتائج ذلك الحسنة ان علت كلمة الدين وكملت سعادة المسلمين وفتحوا الفتوحات ومصروا الامصار ودوخوا الممالك وتفيؤا ظلال العمران وأتوا من جلائل الاعمال بما يبهر العقول ويحير الالباب وكان مما شرع الله لعباده المؤمنين فروض حتم على البعض ان يفعلها مباشرة وعلي الباقين ان يهيمنوا على فعلها حتى اذا لم يقم بادائها قاموا دونه وألزموه الاداء واذا اهملوا ذلك وتركوا النظر فيه أثموا جميعا (وهذا الذى يسمى بلسان الشرع فرض كفاية) ولا معني لهذا الا ان الكل مخاطب فيما يتعلق بالمصالح الاجتماعية بما يخاطب به الفرد والفرد مخاطب بما يخاطب به الكل ولولا ذلك لما أثم الكل عند ترك البعض له

(ومن نظر فى تاريخ الامم ووقف على احوال رقيهم ومنبعث سوددهم ومجدهم لم يجد اهم الاسباب فى ذلك ولا اعظم الوسائل فيه الا هذا التكافل ولذا يقول جل شأنه)

سوره	آيه	
الانفال	٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب

وذلك انه كان الواجب علي غير الظالمين ان يقبضوا على ايدى الذين ظلموا ويحولوا دونهم ودون ما به كان الظلم وحيث اهملوا امرهم وتركوهم وما يفعلون فقد شاركوهم في فعل هذا المنكر فلم تكن الفتنة قاصرة علي الذين ظلموا دونهم لان الكل آثمون والله اعلم

﴿ الاحسان يسترق الانسان ﴾

اعلم أن الاحسان يكون فى كل خير فقد يكون في العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) وقد يكون فى الكلمة الطيبة يلقيها المرء لاخيه فتفرج من همه وتزيل من غمه وقد يكون فى بذل المروءة وكف اللسان عن الاذى فى القول والعمل وقد يكون في بذل المال في وجوه البر وصنوف الخير مما يعود على الامة بالسعادة والخير العظيم وقد يكون فى غير ذلك مما لاحاجة بنا الى استقصائه وليس مقصودنا الذى نرمي الى تحقيقه والحث عليه والترغيب فيه الا هذا النوع الاخير وهو الاحسان بالمال وبذله في وجوه البر والخير وليس معنا بر وخير بعينه بل كل ماصدق عليه مسمي البر والخير فالانفاق فيه حسبما قرره الشرع من الاحسان الذي وعد الله ذويه بنماء اموالهم اذا هم بذلوها على الوجه الشرعى المرضي وهو اصل من اصول الايمان الذي لا يكمل الايمان حقيقة الا به كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) فتراه جل شأنه جعل الانفاق مما رزقهم الله من اخص اوصاف المؤمنين الذين لا يكون ايمانهم حقا الا به

والناظر فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يجد ان الله جل شأنه لم يعتن اشد الاعتناء ولم يحرض كال التحريض بشيء من اعمال البر كاعتنائه بالصدقة والانفاق في وجوه البر والخير — واليك بيان بعض ما ورد فيه من الآيات وهو قليل من كثير

(قال الله تعالى فى بيان أن هذا الانفاق داعية النماء والزيادة)

البقره	٢٦٠	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

(وقال عزّ وجل)	آية	سوره
وما تنفقوا من خيرٍ يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون	٢٧١	البقره
(وقال تعالى)		
لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فانّ الله به عليم	٩٢	آل عمران
(وقال جل ذكره)		
الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثمّ لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٢٦٢	البقرة

وليس المراد بسبيل الله خصوص الجهاد كما قد يتوهم بل المراد به كل خير والآيات في ذلك اكثر من ان تحصر وبالله التوفيق وله الحمد والمنة

* (المسارعة الى فعل الخيرات)

اعلم ان اعظم ما يوجه الانسان همته اليه ويبذل قصاري جهده فيه ان يسعى وراء ما يعود عليه بالخير والسعادة والا كانت نفسه احقر الاشياء اليه واخسها واهونها لديه واذا كانت عنده كذلك فهي عند غيره اهون واخس واضيع ولا يرضي بذلك الا من لا قيمة للحياة عنده — وحيث ان الخيرات ليست من الاشياء التى تغشي الانسان في جميع آونته وانما هى شوارد يقتنصها من نصب شرك الحرص لحصولها وحبائل التيقظ لاقتناصها كان من الواجب علي كل عاقل ان يكون لها بالمرصاد حتى اذا آنس غرة الحوائل دون الحصول عليها وثب عليها وثوب الاسد علي فريسته واغتنم الفرصة فى حصولها ليفوز بالخير ويحظى بالسعادة — ولذا حث جل شانه على المسارعة الى فعل الخير والمبادرة الى حصوله

(ونبه سبحانه وتعالى على فضل الذين يسارعون في الخيرات ونوه بذكر اخص اوصافهم التى امتازوا بها عن غيرهم فقال)

إنّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون ٥٩ والّذين هم بآيات ربهم يؤمنون ٦٠ والذين هم بربّهم لا يشركون ٦١ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم الى ربهم راجعون ٦٢ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون	٥٨	المؤمنون

سورة	آية	(وقال جل ذكره فيما يترتب على المسارعة في الخيرات من جزيل الفوائد وعظيم المنافع)
الانبياء	٨٩	وزَكَرِيَّا اذ نادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدا وأنت خَيْرُ الوارِثِينَ ٩٠ فاستَجَبْنا له وَوَهبنا له يحيى وأصْلَحْنا له زَوْجَهُ إنهم كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْرات ويَدْعُونَنا رَغَبا ورهَبا وكانُوا لنا خاشِعِينَ
		والايات في ذلك كثيرة وفي هذا القدر كفاية والله ولى الرشد والسداد

(تم)

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٧	فَيَبْسُطُهُ	فَيَبْسُطُهُ	٣٨	٢٠	أتاه	آتاه	٧٢	٩	ولتكمّلوا	ولِتُكملُوا
٤	١٤	لَكُمْ	لَكُمُ	٤٠	١٤	تَذرسُون	تَدْرُسُون	٧٧	٢٤	والمؤمنَاتِ	والمؤمنَاتُ
١٠	٤	للعالَمن	للعالمين	٦٣	٣	بروّسكم	برؤُسكم	٨٤	١١	حَجّ	حِجّ
٣٥	٢٤	من قَبْلِهِمْ	من قَبْلِهِمْ	٦٧	٥	كُنّتم	كُنْتُمْ	٨٧	٢٠	وليُوَفُّوا	ولْيُوفُوا
٣٦	٢١	يَعْلَمون	يَعْلمُون	٦٩	٢	أذَى	أذى	١٠٥	٢٠	وإذَ	وإذا

فهرست

﴿ كتاب الهداية الى الصراط المستقيم ﴾

